
الأدب العالمي للناشئين
نساء صغيرات
لويزا ماي ألكوت

نساء صغيرات



نساء صغيرات

تأليف
لويزا ماي ألكوت

ترجمة
مروة عبد الفتاح شحاتة



نساء صغيرات

لويزا ماي ألكوت

Little Women

Louisa May Alcott

الطبعة الأولى ٢٠١٢م
رقم إيداع ١٩١٢٦ / ٢٠١١

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + **فاكس:** ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

ألكوت، لويزا ماي.
نساء صغيرات / تأليف لويزا ماي ألكوت.
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٥١٧١ ١٦ ٠

١–القصص الإنجليزية

أ–العنوان

٨٢٣

رسم الغلاف: حنان الكرارجي، تصميم الغلاف: سيلفيا فوزي.

المحتويات

الفصل الأول

مسرحية عيد الميلاد

بينما كانت الثلوج تتساقط في هدوء خارج المنزل الموجود في «نيو إنجلاند»، جلست الشقيقات الأربعة بجوار المدفأة في حجرة المعيشة الدافئة والمريحة.

تذمَّرت جُو البالغة من العمر خمسة عشر عامًا وهي مستلقية فوق السجادة: «سيكون عيد الميلاد مختلفًا دون هدايا.»

تنهَّدت شقيقتها الكبرى، ميج، وقالت وهي تنظر إلى فستانها القديم: «حياة الفقراء ليست ممتعة.»

تأفَّفت إيمي، الصغرى بينهن وتبلغ من العمر اثني عشر عامًا: «ليس عدلًا أن تحصل بعض الفتيات على الكثير من الأشياء الجميلة، وأخريات لا يحصلن على شيء على الإطلاق.»

قالت بيث البالغة من العمر ثلاثة عشر عامًا في سرور وهي جالسة في زاوية الغرفة: «لكن لدينا أمٌّ وأبٌ يحبانا كثيرًا، ولطالما كنا معًا.» بدا أن كلماتها أسعدت شقيقاتها.

قالت جو: «لكن أبانا سافر منذ مدة طويلة، ولا ندري متى سيعود.»

قالت ميج في إصرار: «سيكون هذا الشتاء قاسيًا علينا جميعًا. لا ينبغي لنا شراء الهدايا في حين أن كثيرًا من الناس يعانون ويلات الحرب. لا بد أن نقدم التضحيات!» وبالرغم مما قالته ميج من كلام طيِّب، فإنها كانت تشتاق إلى هدايا عيد الميلاد الجميلة.

قالت جو: «لا تملك كل واحدة منا سوى دولار واحد، وهذا لن يساعد الجيش كثيرًا.» كانت جو تحب القراءة كثيرًا وأرادت شراء رواية جديدة. أما بيث فقد اشتاقت كثيرًا إلى العزف على البيانو واشتاقت إيمي إلى أقلام التلوين الخشبية لكي ترسم.

استطردت جو: «لن تمانع أمُّنا إذا أنفقنا نقودنا في شراء أشياء لنا والاستمتاع قليلًا. فنحن نكِدُّ في عملنا.»

دقت الساعة السادسة تمامًا، وضعت بيث خف والدتها أمام المدفأة لتدفئته. لاحظت جو أن خف أمها عتيق وبالٍ، وقالت: «لا بد أن نأتي بخف جديد لأمِّنا مارمي.»

عندما أعلنت بيث أنها ستشتري بالدولار الذي تملكه خفًّا لوالدتها، أصرت جو على أن تشتريه هي، وذلك لأن أباها كان قد أوصاها بأن تعتني بأمِّها جيدًا أثناء غيابه. وفكرت ميج أنه ينبغي عليها هي أن تشتريه لأنها الشقيقة الكبرى.

قالت بيث: «لديّ فكرة! لنشتري جميعًا هدايا لمارمي، وليس لأنفسنا.»

رأت الفتيات أن هذه الفكرة رائعة، قالت ميج إنها ستشتري لها قفازًا.

صاحت جو: «سأشتري لها خفًّا من الساتان! أفضل خف يمكنني الحصول عليه.»

أضافت بيث: «سأشتري لها مناديل جميلة مُطَرَّزة الحواف.»

فكرت إيمي دقيقة وهي تجذب إحدى خصلات شعرها الأشقر، وقالت: «سأحضر لمارمي زجاجة عطر. وبهذه الطريقة سيتبقى معي قليل من المال لنفسي.»

شعرت جو بالحماسة، وقالت: «أتحرق شوقًا إلى مفاجأتها!»

ثم استدارت إلى شقيقاتها، وقالت: «سنذهب للتسوق غدًا، وتذَكَّرْن أن علينا التمرن على مسرحية عيد الميلاد.» أخذت جو تسير في غرفة المعيشة، وبعد دقائق قليلة، انفجرت الفتيات في الضحك بصوت عال حتى إنهن لم يسمعن أمهن وهي قادمة من البرد في الخارج.

قالت مارمي: «كم أنا سعيدة لأنكن تحظين بوقت ممتع، هل أمضيتن يومًا سعيدًا؟»

عندما خلعت مارمي ملابسها المبتلة، وارتدت خفَّها الدافئ، وجلست أمام المدفأة، هبَّت الفتيات إلى العمل. ذكت جو النيران بالحطب، وأعدت ميج العشاء وساعدتها بيث، وأشرفت إيمي على شقيقاتها تخبرهن بما يفعلنه وكيف يفعلنه.

عندما جلسن حول المائدة لتناول الطعام، قالت مارمي: «لديَّ مفاجأة، لكن بعد العشاء يا فتيات.»

علت الابتسامة وجوههن سريعًا، وقذفت جو بالمنديل في الهواء، وصاحت: «لا بد أنه خطاب، يعيش أبي!»

أومأت مارمي: «أجل، إنه خطاب من أبيكُنّ. هو بخير ويرى أن هذا الشتاء لن يكون سيئًا بدرجة كبيرة. ويهنئكن بحلول عيد الميلاد، وهناك رسالة خاصة بعثها لكنني لن أخبركن بها إلا بعد تناول العشاء.»

أسرعت الفتيات في تناول العشاء، فقد كن يَتُقْنَ إلى قراءة الخطاب، إذ شعرن بافتقاد أبيهن كثيرًا.

بعد العشاء، جلست الفتيات بجوار والدتهن بجانب المدفأة. قرأت مارمي: «أخبري بناتي أنني أفكر فيهن طوال الوقت. وعلى الرغم من أن الوقت لا يزال مبكرًا على رؤيتهن، أعلم أنهن سيحسن التصرف، ولن يهدرن أوقاتهن في أمور غير مجدية. أعلم أنني عندما أعود إلى المنزل، سأشعر بفخر لم أشعر به من قبل بنسائي الصغيرات.»

أقنع الخطاب الفتيات بأن يحسِنَّ التصرف أثناء غياب الأب. وعمَّ السرور أرجاء المنزل مع شروعهن في قضاء أمسيتهن في الخياطة، بعد أن حملت هانا الخادمة الصحون إلى المطبخ. ذكّرت السيدة مارمي بناتها كيف اعتدن تمثيل مشاهد من مسرحية «السائح المسيحي». تذكرت الفتيات ركضهن بالمنزل وهن يحملن حقائب على ظهورهن أثناء فرارهن من القوى الشريرة.

عندما حان موعد النوم، غنَّت الفتيات مع عزف بيث على البيانو القديم. وأدت كل واحدة منهن دورها بطريقتها: قلَّدت ميج صوت الفلوت، أما إيمي فقلدت صوت صرصار الليل، وانضمت إليهن جو في الغناء عندما شعرت برغبة في ذلك، لكنها دخلت في الوقت غير المناسب وأفسدت الأمر كله. اعتادت الفتيات الغناء قبل النوم منذ أن كنَّ صغيرات، وحتى الآن لم يكبرن أبدًا على ترديد تلك الأغنيات الشهيرة قبل النوم.

الفصل الثاني

عيد ميلاد سعيد

في صباح يوم عيد الميلاد، استيقظت الفتيات الأربعة فوجدت كل منهن نسخة من مسرحية «السائح المسيحي» تحت وسادتها. أخبرتهن ميج أنها تنوي قراءة جزء صغير منها كل صباح، لرفع روحها المعنوية ومساعدتها على أن تكون فتاة مثالية. تحدثت جو: «أترون يا فتيات كم أن ميج ماهرة؟! فلْنَسِر على خطاها!»

سرعان ما جلست الشقيقات الأربعة عند الطاولة الصغيرة في حجرات نومهن لقراءة الكتب. وبعد مرور نصف ساعة، نزلن إلى الطابق السفلي ليهنئن أمهن بعيد الميلاد، لكنها لم تكن موجودة.

سألت ميج عن أمها، فأجابتها هانا الخادمة: «حضر شخص ونادى عليها، فخرجت على الفور لترى هل تستطيع تقديم أي مساعدة.»

أعدَّت الفتيات كل شيء لمفاجأة والدتهن، ليَّنت جو الخف الجديد بارتدائه والرقص به في أرجاء الغرفة أثناء إعداد ميج سلة الهدايا. أما بيث فقد تباهت بالمناديل أمام شقيقاتها بعد أن طرزتها بكل حب بكلمة: «أمي».

سألت ميج: «أين العطر الذي أحضرته إيمي؟»

أجابتها جو: «ذهبت إيمي للبحث عن شريط زينة لتلفه حول زجاجة العطر.»

صُفِق الباب، وسمعت الفتيات صوت خطوات في الرواق.

قالت جو: «أسرعا، لقد حضرت أمنا، خبِّئا السلة!»

لكنها لم تكن أمهن، بل كانت إيمي، وبدا أن ثمة خطبًا ما.

سألتها ميج: «ماذا تخفين خلف ظهرك؟»

قالت إيمي: «لا تسخرن منِّي الآن، فقد استبدلت زجاجة العطر الصغيرة التي أحضرتها بزجاجة كبيرة، وقد استنفدت كل ما لدي من مال.» وأخرجت زجاجة العطر

الجديدة من الحقيبة لتريها لشقيقاتها اللاتي عانقنها. استطردت إيمي: «لقد شعرت بالخزي من هديتي بعد أن قرأت في الكتاب عن الطيبة وحسن الخلق هذا الصباح، لذا ذهبت لأشتري لمارمي شيئًا أفضل.»

صُفِق الباب للمرة الثانية، فزجَّت ميج سلة الهدايا تحت الأريكة، واتجهت الفتيات إلى المائدة، والحماسة تملؤهن لتناول فطور عيد الميلاد المجيد. عندما دخلت أمهن الغرفة، صاحت الفتيات: «شكرًا لك على هدية عيد الميلاد يا مارمي، لقد قرأنا جزءًا منها، وسنقرأ المزيد كل يوم!»

– «عيد سعيد يا بناتي الصغيرات! كم أنا سعيدة أن الهدايا أعجبتكن. الآن أود أن أخبركن بأمر ما. تعيش على مقربة منا أسرة فقيرة للغاية، وليس لديها حطب لإشعال المدفأة، ويشعر أفرادها بالجوع. هل من الممكن أن تقدمن لها فطوركن هدية العيد؟»

كانت الفتيات يشعرن بالجوع القارص بعد أن ظللن ساعة في انتظار مارمي، لذا لم تنطق أي منهن بكلمة. اندفعت جو: «أنا سعيدة للغاية أننا لم نتناول منه بعد!»

عرضت بيث مساعدتها في حمل الطعام إلى الأسرة الفقيرة بكل سرور. وقالت إيمي إنها ستحمل القشدة والكعك، وهو الطعام الذي تحبه كثيرًا. وكانت ميج تغطي بالفعل الفطائر وتضع الخبز فوق صحن كبير.

ابتسمت السيدة مارمي، وقالت: «عندما نعود يا بناتي سنفطر بالخبز والحليب، ثم سنُعِدُّ عشاءً رائعًا لتعويضكن عن كل شيء.»

سرعان ما أصبح كل شيء جاهزًا، وخرجت الفتيات لمساعدة الأسرة الفقيرة. عندما وصلن إلى هناك، شعرن بالصدمة عندما رأين الغرفة البائسة الباردة الجرداء، ورأين أمًّا مريضة تحمل طفلها الباكي، وستة أطفال آخرين مكدَّسين أسفل بطانية واحدة، لكنهم ابتسموا عندما دخلت أسرة مارش.

قالت الأم، وتدعى السيدة هامل: «حضرت الملائكة لمساعدتنا!»

ابتسمت جو ابتسامة عريضة، وقالت: «ملائكة مرحين يرتدون أغطية للرأس وقفازات صغيرة.»

وفي غضون بضع دقائق، تبدل حال الغرفة بأكملها. أشعلت هانا المدفأة بالحطب الذي كانت تحمله، وقدمت السيدة مارمي الشاي وعصيدة الشوفان للسيدة هامل، وغطَّت الرضيع برفق. أطعمت الشقيقات الأربعة الأطفال بجوار المدفأة. شعرت الفتيات بسعادة كبيرة عندما رأين الفرحة على وجوههم.

وعندما عادوا إلى المنزل، أخرجت الفتيات هداياهن أثناء انشغال أمهن بالخارج في جمع الملابس لأسرة هامل الفقيرة. صاحت جو في سعادة: «إنها قادمة! هيا يا بيث اعزفي لنا، وأنت يا إيمي افتحي الباب، مرحى يا مارمي!» وأخذت جو تتجول في الغرفة.

قادت ميج أمها التي كانت تبتسم إلى مقعدها. تأثرت الأم بكرم بناتها، وفتحت الهدايا في سرور. ارتدت الخف لتجربته، وعطرت نفسها بالعطر، ووضعت منديلًا جديدًا في جيبها، وقالت إن القفاز يناسبها تمامًا. وبعد تبادل الأحضان والقبلات، حان موعد التحضير لمسرحية الليلة.

حضرت اثنتا عشرة فتاة من الجيران لمشاهدة المسرحية. أدت الشقيقات الأربعة خمسة فصول مشوقة، ارتدين فيها أزياء مختلفة، وكنَّ يحفظن النص جيدًا. سقطت إحدى الأدوات فوق الجمهور فجأة وأحدثت جلجلة. حضرت هانا بعد انتهاء الفصل الأخير مباشرة فوجدت الجميع في نوبة ضحك هستيرية.

أعلنت هانا: «حان وقت العشاء يا فتيات!»

يا لها من مفاجأة! فقد وجدت الفتيات فوق مائدة الطعام نوعين مختلفين من الآيس كريم، والكثير من الحلوى والفاكهة والكيك وأربع باقات من الزهور! لم تنطق أي منهن بكلمة في البداية، وفي النهاية همست بيث: «لا بد أن بابا نويل هو من أحضر هذه الأشياء.»

سألت إيمي: «هل أحضرت الجنيات هذه الأشياء؟»

قالت ميج: «لا بد أنها أمُّنا التي أحضرتها.»

صاحت جو: «لا بد أن عمتي مارش أرسلتها.»

قالت مارمي: «كلا، كلكن مخطئات، لقد أرسلها السيد لورانس العجوز.»

سألتها ميج: «أتقصدين جد الفتى لورانس؟ لكننا لا نعرفه، لماذا يرسل إلينا كل هذا الطعام؟»

أجابتها مارمي: «لقد أخبرت هانا أحد خادميه بما فعلتُنَّ اليوم يا فتيات، لذا أراد السيد لورانس أن يعبر عن تقديره لكُنّ بمفاجأة مميزة. والآن أمامكن وليمة صغيرة تعوضكن عن فطور الخبز واللبن.»

قالت جو وهي مستغرقة في التفكير: «لا بد أن حفيده لورانس أوحى إليه بهذه الفكرة، أنا واثقة أنه فتى طيب القلب.»

استمتعت الفتيات بالوليمة الشهية أثناء حديثهن عن الشاب الذي يعيش بالجوار وعن جده الذي يغالي في الخوف عليه.

قالت جو: «لقد أحضر لي قطتي ذات مرة، وكان لطيفًا للغاية، أود التعرف عليه، أعتقد أنه بحاجة إلى بعض المرح.»

وافقتها مارمي: «إنه دمث الخلق، ويبدو أنه شاب مهذب، كان ينبغي لي أن أدعوه إلى هنا لمشاهدة المسرحية التي قمتن بأدائها.»

ضحكت جو: «لعلها فكرة سديدة أنك لم تدعيه، انظري إلينا!» وأخذت ترقص وهي تنتعل حذاءها الجلدي القديم لإضحاكهن.

أُعجبت ميج بالزهور، وعانقت بيث أمها وقالت: «ليتني أستطيع إرسال باقتي إلى أبي، أنا واثقة أنه لا يستمتع بعيد الميلاد مثلنا.»

الفصل الثالث

الفتى لورانس

أثناء قراءة جو الكتاب، انهمرت الدموع فوق وجنتيها النحيفتين. جلست جو فوق أريكة عتيقة في علية المنزل، وبجوارها فأرها المدلل سكرابل. كانت علية المنزل المكان المفضل لدى جو بالمنزل، كثيرًا ما كانت تذهب إلى هناك لتأكل التفاح وتستغرق في قراءة كتاب. عندما سمعت ميج تناديها، صاحت: «أنا هنا بالأعلى!»

كانت ميج سعيدة للغاية لأنهما دُعيتا إلى حفل ليلة رأس السنة الراقص بمنزل سالي جاردينر.

صاحت: «مرحى يا جو! لقد وافقت مارمي على ذهابنا، ماذا سنرتدي؟»

– «سنرتدي فساتيننا القطنية القديمة، فهي كل ما نملك.»

تنهدت ميج وقالت: «ليتني أملك فستانًا من الحرير! تقول أمي إنه عليّ الانتظار حتى أبلغ ثمانية عشر عامًا — لا يزال أمامي سنتان.»

– «فساتيننا القطنية لا بأس بها، وفستانك يبدو جديدًا تمامًا، أما فستاني فبه جزء محترق وممزق. ماذا سأفعل؟»

نصحتها شقيقتها: «عليك الجلوس في مكانك قدر استطاعتك، وإسناد ظهرك إلى الجدار حتى لا يرى أحد ذلك الجزء المحترق.»

«لكن ماذا عن قفازي؟ فقد سكبت عليه عصير الليمون وتلف تمامًا أيضًا.» ثم فكرت جو كم سيكلفها شراء قفاز جديد، وقالت: «لا أريد أن أرتدي أي قفازات.»

صاحت ميج: «لا بد أن ترتدي قفازًا، وإلا لن أذهب إلى هناك.» لطالما أرادت ميج أن تتحلى بالمظهر اللائق اجتماعيًّا.

قررت الشقيقتان أن ترتدي كل منهما فردة واحدة من قفاز ميج الجيد وتمسك بفردة من قفاز جو المهترئ. وأخذت ميج من شقيقتها وعدًا بأن تتصرف كسيدات المجتمع. وافقت جو وأرسلت موافقتها على الدعوة بعد أن انتهت من قراءة كتابها.

في ليلة رأس السنة، أمضت الشقيقتان وقتًا طويلًا في الإعداد للحفل. وبعد حادثة مؤسفة (أحرقت جو شعر ميج أثناء محاولاتها تصفيفه)، كانت الشقيقتان سعيدتين بالتصفيفة النهائية. بدت الشقيقتان أنيقتين وجميلتين، على الرغم من أن حذاء ميج ذا الكعب العالي كان ضيقًا للغاية، ووخز دبوس الشعر جو في فروة رأسها. تمنت لهما أمهما قضاء وقت سعيد.

وصلت الشقيقتان إلى منزل سالي، وأمضتا بضع دقائق في النظر لأنفسهما في المرآة الموجودة في حجرة الملابس بمنزل السيدة جاردنر. شعرت ميج بالقلق حيال شعرها المحترق، وشعرت جو بالقلق مخافة أن تتصرف على نحو غير لائق. واتفقتا على أمر؛ إذا تصرفت جو على نحو غير ملائم، فسترفع ميج حاجبيها.

بعد أن نزلتا إلى الطابق السفلي، وجدت ميج مجموعة من الفتيات في نفس عمرها فتحدثت معهن ثم بدأت ترقص، على الرغم من أن حذاءها الجديد آلمها. أرادت جو بشدة الانضمام إلى مجموعة من الفتية يتحدثون عن التزلج على الجليد، وهو ما أحبته كثيرًا، لكن ميج رفعت حاجبيها، لذا تراجعت جو! حاولت جو مقاومة شعورها بالوحدة والغربة، لكن عندما اتجه نحوها فتى ضخم أصهب الشعر، اختبأت داخل غرفة صغيرة عليها ستار، لكن لم تكن وحدها بالغرفة، بل أصبحت وجهًا لوجه مع الفتى لورانس!

اندفعت جو قائلة: «آسفة، لم أدرك أن شخصًا آخر هنا.» بدأت تتراجع للخروج من الغرفة، لكنه ضحك، وقال: «لا عليكِ، امكثي هنا إذا شئت.»

– «ألن أضايقك؟»

– «مطلقًا، لقد دخلت هنا لأنني لا أعرف الكثير من الناس في الخارج وشعرت بالوحدة والغربة قليلًا.»

– «وأنا أيضًا.»

بدأ حديثهما على نحو مرتبك، لأنهما كانا يشعران بالخجل، ثم شكرته جو على عشاء عيد الميلاد، فقال إنها كانت فكرة جدِّه.

– «كيف حال قطتك يا آنسة مارش؟»

– «بخير حال، شكرًا يا سيد لورانس، لكن اسمي جو، وليس الآنسة مارش.»

ابتسم، وأجابها: «إذن، فأنا اسمي لوري، وليس السيد لورانس.»

– «لوري لورانس، يا له من اسم غريب.»

– «اسمي ثيودور، لكنني لا أحبه لأن الأولاد كانوا ينادونني «دورا»، لذا جعلتهم ينادونني باسم لوري بدلًا من ذلك.»

– «وأنا أتمنى أن يناديني الجميع باسم جو بدلًا من جوزفين.»

سريعًا ما أصبحا يتحدثان كصديقين قديمين، تحمَّست جو كثيرًا عندما علمت أن لوري درس في فرنسا. أخبرها أنه لم يكن مهتمًّا بالالتحاق بالكلية، وأخبرته جو أنها تود العيش في إيطاليا. بعد ذلك رقصا في الرواق حتى لا يظهر الجزء المحترق من فستان جو أمام الناس. أمضى لوري وجو وقتًا رائعًا معًا حتى نادت ميج على جو وأخذتها إلى غرفة جانبية. جلست ميج فوق أريكة وأمسكت بقدمها وبدت شاحبة الوجه.

قالت ميج في ألم: «لقد انكسر كعب الحذاء والتوى كاحلي، لا أدري كيف سأعود إلى المنزل.»

اقترحت جو أن تحضر عربة، لكن ميج قالت لها إنها ستكلفهما كثيرًا. ثم قررتا أن ترتاح ميج حتى تأتي هانا وتأخذهما، وحينئذ ستحاول العودة إلى المنزل سيرًا. أرسلت ميج جو لإحضار قهوتها.

عندما أخذت ميج رشفة، انسكبت القهوة فوق فستانها، وأتلفت فردة القفاز الجيد عندما حاولت إزالة البقع من الفستان. حضر لوري ومعه فنجان قهوة قدَّمه إلى ميج. أمضى ثلاثتهم وقتًا ممتعًا معًا في الضحك واللعب وتناول الحلوى، حتى إنهم لم يلحظوا حضور هانا. نهضت ميج على الفور وحاولت إخفاء شعورها بالألم. لكن هانا وبَّختها، فبكت ميج.

قررت جو البحث عن عربة، لكنها قابلت لوري الذي كان على وشك العودة إلى منزله. واقترح أن يصطحبهن إلى المنزل معه في عربة جده الأنيقة. ويا لها من رحلة ممتعة داخل العربة! شعرت ميج وجو أنهما من سيدات المجتمع الراقي، وأمضتا الوقت داخل العربة في تذكر مغامرات ذلك المساء.

ما إن دخلتا من الباب الأمامي، حتى صاحت كل من إيمي وبيث: «أخبرانا عن الحفل!»

وأثناء مداواة جو لكاحل ميج، استمعت الفتاتان الصغيرتان إلى ميج وجو وهما تحكيان عن حوادث احتراق الشعر، وإتلاف القفاز، والفستان الملطخ، والحذاء الضيق، والكاحل الملتوي، وكل الأمور الأخرى!

الفصل الرابع

أعباء العمل

بعد أن انقضت إجازة العيد، بدأ يوم جديد على نحو بائس. حاولت ميج إخفاء حسدها للفتيات اللاتي لا يتحملن الكثير من الأعباء. لم ترغب جو في العودة إلى العمل، أما بيث فكانت تعاني صداعًا، وتذمرت إيمي لأنها لم تنه واجبها المدرسي.

حملت الفتيات الفطائر المحشوة الساخنة، واتجهن إلى الخارج. نظرت مارمي من النافذة وابتسمت وأومأت إليهن. بدا أن ابتسامتها رفعت من روحهن المعنوية، كانت ميج الأكثر ضيقًا من حياة الفقر بين شقيقاتها، فهي تحب الأشياء الفاخرة، وتحتفظ بذكريات جميلة عن أفضل أيام عاشتها.

توسلت الفتاتان الكبريان إلى أمهما كي تعملان من أجل مساعدة الأسرة. لذا عملت ميج مربية لدى أسرة كينج، أما جو فكانت ترافق عمتهن الكبرى، العمة مارش، التي كانت ثرية ولكنها كانت خائرة القوى. على الرغم من الاختلافات الموجودة بينهما، كانت الأمور بين جو والعمة مارش تسير على أفضل حال، وكثيرًا ما كانت تمضي جو الوقت في المكتبة الكبيرة حينما لا تكون عمتها في حاجة إلى مساعدتها.

تأثرت الفتيات بفقرهن على نحو مختلف، فعلى الرغم من محاولاتهن الحفاظ على السعادة والمرح، كانت بيث تبكي قليلًا لأنها لا تستطيع تحمل تكاليف دروس الموسيقى. تلقَّت بيث الفتاة الهادئة الخجولة دروسها بالمنزل، وأمضت الكثير من الوقت في اللعب مع الدمى. كانت فتاة طيبة القلب تستمد متعتها الكبرى من الاهتمام بالآخرين.

أما إيمي، فكانت تعاني مشكلة كبيرة مع أنفها، وقد لامت جو لأنها أسقطتها مرة وهي طفلة رضيعة عن غير قصد. وباءت كل محاولات الضغط من أجل تصغير أنفها بالفشل. من حيث الموهبة، كانت إيمي الفنانة بين شقيقاتها، فدائمًا ما كانت ترسم الزهور والجنِّيات وكل الأنوف الجميلة التي كانت تتمناها.

بوجه عام عاشت الفتيات في سعادة تجد كل منهن الطمأنينة مع شقيقاتها في الوقت الذي يكون فيه العالم الخارجي مخيبًا للآمال. كانت أيام العمل الشاقَّة تنتهي بمكافأة؛ فكنَّ يتجاذبن أطراف الحديث ساعات طويلة مع أمهن بعد العشاء.

في تلك الليلة، أخبرتهن السيدة مارمي بقصة مؤثرة؛ فبينما كانت تقص السُترات، دخل رجل عجوز إلى المحل. كان أبناؤه الأربعة في الجيش؛ قُتل اثنان منهم، ووقع الثالث في الأسر، ورابعهم مريض في مستشفى بواشنطن. عبَّرت مارمي عن امتنانها لمقابلة رجل يتقبل واجبه بصدر رحب هكذا، وهو ما جعلها تحمد الله على النعم التي تملكها.

طلبت منها جو: «أخبرينا قصة أخرى لها مغزى أخلاقي.» بدأت مارمي تقص عليهن قصة عن أربع فتيات لديهن كفايتهن من الطعام والشراب والثياب. كان لديهن الكثير من الأصدقاء الرائعين وعائلة تحبهن كثيرًا. لكن أولئك الفتيات لم يكن يشعرن بالسعادة، ودائمًا ما يطلبن هذا ويتمنين ذاك. رمقت الفتيات الأربعة بعضهن بعضًا بنظرات سريعة، وأخذن يغزلن بسرعة أثناء سرد أمهن القصة.

قالت مارمي: «عندما تشعرن بالتعاسة، أحصين النعم التي لديكن واشكرن الله؛ وذلك لأنه دائمًا يكون في العالم من هم أقل منكن.»

استمتعت الفتيات بسماع القصة، واتفقن على التوقف عن التذمر والبحث عن السعادة في النعم البسيطة التي يتمتعن بها، وتذكر كلمات مارمي جيدًا على الدوام.

الفصل الخامس

حُسْن الجوار

تساقط الثلج بكثافة في الشتاء. جلست ميج بجوار المدفأة لتقرأ كتابًا، أما جو فأمسكت بمكنسة وجاروف وخرجت لإزالة الثلوج من الممرات، فربما تخرج أختها بيث للسير في الهواء الطلق. كانت جو مفعمة بالحيوية لذا لم تهوَ الجلوس بجوار المدفأة، بل أحبت الخروج من البيت وممارسة الرياضة، بقطع النظر عن الأحوال الجوية. في واقع الأمر، قررت جو ذلك اليوم اكتشاف المزيد عن الفتى لورانس المنعزل.

أحبت جو القيام بأشياء جريئة، لذا ألقت بكرة ثلجية على نافذة لوري. ففتح نافذته وابتسم لها، فلوحت بالمقشة وصاحت: «مرحبًا! هل أنت مريض؟»

أجابها لوري بصوت أجش: «أصابني برد شديد، وأمضيت الأسبوع كله داخل المنزل.»

– «ماذا فعلت كي لا تشعر بالملل؟»

– «لم أفعل الكثير.»

لم يكن مسموحًا للوري بالقراءة، وعندما اقترحت عليه جو أن يأتي أصدقاؤه لزيارته، أخبرها أنهم مزعجون للغاية.

– «ما رأيك في فتاة إذن؟ فتاة تلعب دور الممرضة وتقرأ لك؟»

– «لا أعرف فتاة يمكنها فعل ذلك.»

ضحكت جو: «لكنك تعرفني.»

يا لها من فكرة رائعة! عادت جو إلى منزلها لتطلب الإذن من أمها. في غضون ذلك رتب لوري غرفته ومشط شعره. عندما حضرت جو عند باب منزل السيد لورانس، أحضرت معها الكثير من الأشياء الطيبة. صنعت ميج كعكة، أما إيمي فجمعت باقة من الزهور، وأرسلت بيث قططها الثلاثة الصغيرة. كانت هذه الهدايا مثالية في مساعدة

لوري على الاسترخاء. جلست جو فوق كرسي ضخم، وتمدد لوري فوق الأريكة. سألته هل يود أن تقرأ عليه كتابًا، لكن لوري أخبرها أنه يفضل التحدث معها.

تجاذبا أطراف الحديث معًا، فتحدثا عن أسرة جو، واعترف لها لوري أنه استمتع بمراقبة منزلهن من نافذته. تحدث لوري عن معلمه الخاص، السيد بروك، ثم تحدث عن جدِّه، وأخبرته جو أنها لم تذهب إلى المدرسة، وأنها تعمل لدى عمتها مارش. وأفصحت له عن قلقها على أبيها. عندما علم لوري أن جو تحب القراءة مثله، دعاها إلى التجول في المنزل، وبالطبع التوقف أمام المكتبة الرائعة. وفي منتصف جولتهما بالمنزل، رنَّ جرس الباب.

قالت جو: «لا بد أنه جدُّك!»

فقال لوري: «لا تخبريني أنك خائفة منه!»

– «ربما قليلًا، لكنني لا أدري لماذا.»

جاءت الخادمة وأخبرت لوري أن الطبيب قد حضر. أثناء فحص الطبيب للوري في حجرة أخرى، مكثت جو بحجرة المكتبة، ووقفت أمام صورة للجدِّ لورانس.

وظنًّا منها أنها وحدها بالغرفة، قالت بصوت مسموع: «لا ينبغي أن أخشاه، فعيناه حنونتان، مع أن فمه مروع ويبدو عليه أنه قوي العزيمة. ليس وسيمًا كجدِّي، لكنني مع هذا أحبه.»

جاء صوت من خلفها: «شكرًا جزيلًا يا سيدتي.» فالتفتت لتجد السيد لورانس العجوز! يا له من موقف محرج لجو المسكينة التي احمرت وجنتاها خجلًا، فكرت لحظة أن تركض بعيدًا، لكنها ظلت واقفة. عندما نظرت إلى الجدِّ العجوز مرة أخرى تبينت أن عينيه تنمان عن طيبة أكثر مما هو واضح في الصورة.

وبعد فترة من الصمت الطويل، سألها العجوز بصوت أجش: «إذن لست خائفة مني؟»

قالت جو بصوت خافت: «ليس كثيرًا يا سيدي.»

– «لكنك تحبينني رغم ملامح وجهي القبيحة؟»

أجابته جو: «أجل يا سيدي!»

حازت إجابتها رضا السيد لورانس، وفرحت جو حين قال لها إنها تملك روح جدها لأبيها. شرحت له أن سبب مجيئها أنها أرادت أن تكون ودودة مع جيرانها، واتفقا على أن لوري بحاجة إلى بعض المرح. تأبطت جو ذراع السيد لورانس واتجها معًا إلى

حجرة المعيشة لاحتساء الشاي مع لوري. سرعان ما تجاذبت جو ولوري أطراف الحديث كالأصدقاء القدامى، ورأى السيد لورانس أن جو لها تأثير إيجابي للغاية على لوري.

أُعجبت جو بالبيانو الكبير، وبعد احتساء الشاي، أقنعت لوري بالعزف عليه، وتمنت لو أن بيث تستطيع سماع عزفه. أخذت جو تتحدث بحماسة عن مهارة لوري في العزف حتى أوقفها الجد عن المديح وودَّعها في عجالة.

عندما خرج لوري وجو إلى الردهة الأمامية، سألته هل فعلت شيئًا أغضب السيد لورانس، فقال لها إن جده لا يحب أن يعزف لوري على البيانو، وأنه سيخبرها بالسبب في وقت لاحق. ثم تعهَّدا بزيارة أحدهما الآخر مرة أخرى.

اندفعت جو نحو منزلها لتخبر عائلتها باليوم الرائع الذي أمضته وهي تحسن إلى جارها. وأصبح لدى كل واحدة من شقيقاتها سبب مختلف لاستكشاف المنزل الموجود بالجوار، فأرادت ميج أن ترى الصوبة الزجاجية، وتمنَّت إيمي رؤية اللوحات والتماثيل الجميلة، واشتاقت بيث إلى العزف على البيانو الكبير. اكتسبت جو لوري صديقًا لها، وفرحت كثيرًا لأنها نجحت في التخفيف من آلامه.

أطلقت بيث على منزل السيد لورانس الكبير اسم «قصر الجمال»، على الرغم من أنها احتاجت إلى بعض الوقت لتستجمع شجاعتها لزيارة المنزل. كانت بيث لا تزال تخاف من السيد لورانس، على الرغم من أنه حاول بث شعور الطمأنينة داخل الفتيات الأخريات. في البداية شعرت الفتيات بالخجل لأنهن لم يستطعن رد الهدايا له. لكن في غضون أسابيع، تناست الفتيات كبرياءهن، وتوطَّدت الصداقة التي جمعت بين لوري وعائلة مارش.

أخبر لوري معلمه الخاص، السيد بروك، كم أن الفتيات رائعات. وكثيرًا ما كانت تفوته الدروس لأنه كان يخرج برفقتهن. لم يكن للوري أم أو شقيقات، وكان يبتهج ويحظى بالمتعة والراحة برفقة الفتيات. لحسن الحظ، رأى جدُّه أن هذا الأمر في صالحه وأخبر السيد بروك ألا يقلق إذا فات لوري درس أو اثنان. قال له: «لنتركه يحظى بإجازة! فهو بحاجة إلى أصدقاء صالحين والتنزه برفقتهم. وعلى أي حال، أعتقد أنني بالغت في الخوف عليه في الآونة الأخيرة.»

حظي لوري بمتعة بالغة مع الفتيات! فقد تزلجوا وركبوا عربات الجليد وعزفوا وأدوا المسرحيات معًا. سرعان ما بدأت جميع الفتيات — ما عدا بيث الخجولة — يتعاملن مع قصر السيد لورانس على أنه بيتهن الثاني. وكما توقعن، أحيانًا كثيرة تذهب ميج إلى

الصوبة الزجاجية، أما جو فكانت تتصفح الكتب بالمكتبة، وإيمي كانت تنسخ اللوحات. لكن بيث لم تتجرأ على دخول المنزل المجاور والعزف على البيانو الكبير، على الرغم من اشتياقها إلى ذلك كثيرًا.

لكن عصفورة صغيرة تدعى جو أخبرت السيد لورانس عن حب بيث للعزف. فشرع في مساعدتها على التغلب على خجلها. أثناء زيارة مارمي إحدى الأيام، تحدث السيد لورانس طويلًا عن كبار العازفين والمطربين العظماء الذين شاهدهم. أثار هذا الكلام انتباه بيث فنهضت من الزاوية التي كانت تجلس بها ووقفت تستمع إليه. لكن السيد لورانس تظاهر أنه لم يلحظ الفتاة الصغيرة الخجولة، وأردف: «إن لوري يهمل العزف هذه الأيام، وذلك البيانو الكبير لا يجد من يعزف عليه، إذا أرادت الفتيات التمرن عليه، حتى تظل أوتاره مشدودة فحسب، فسأكون ممتنًا لهن.»

خطت بيث خطوة إلى الأمام ويداها متشابكتان في حماسة وانفعال.

ابتسم السيد لورانس، واستطرد: «ليسوا بحاجة إلى الاستئذان ولن يزعجهن أحد. لذا رجاءً أخبري الفتيات بما قلته، في حالة أن اهتمت أي منهن بالأمر.»

مدَّت بيث يدها الصغيرة، وسلمت على السيد لورانس، وصاحت: «يا إلهي! إنهن يهتممن بالأمر كثيرًا يا سيدي!»

سألها: «هل أنت الفتاة التي تهوى الموسيقى؟»

– «أنا بيث، أحب الموسيقى كثيرًا، وسأحضر للعزف على البيانو إذا كان هذا الأمر لن يسبب لك أي إزعاج.»

أجابها السيد لورانس: «المنزل يكون خاليًا في أغلب أوقات الظهيرة، وبهذا لن تتسببين في إزعاج أحد، لذا عليك أن تأتي وتعزفي كما تحبين. هذا الأمر سيسعدني كثيرًا.»

احمرت وجنتا بيث، كانت لا تزال تخاف منه، لكنها شعرت بارتياح أكثر. عبرت عن امتنانها لهديته الغالية بالضغط على يده بعد أن ضاعت كلمات الشكر منها.

مرر العجوز يده فوق شعرها، وقبَّل جبينها. وقال بصوت خفيض: «كان لديّ فتاة صغيرة عيناها مثل عيناك، فليباركك الله.»

غادر السيد لورانس بعد أن ودَّع السيدة مارمي سريعًا. كانت بيث في حالة من النشوى، ركضت مباشرة نحو دمياتها لتخبرها بما حدث، إذ لم تكن شقيقاتها بالمنزل.

في اليوم التالي راقبت بيث منزل السيد لورانس، وانتظرت حتى خرج لوري وجدُّه من المنزل. وبعد محاولتين أو ثلاث، استطاعت في النهاية الدخول إلى المنزل. وتسللت

في هدوء إلى حجرة المعيشة، ووقفت في رهبة تحملق في البيانو الجميل. لقد ترك أحد الأشخاص نوتة موسيقية فوق البيانو. بأصابع مرتجفة، لمست بيث أخيرًا الآلة الموسيقية الضخمة، وتبدَّد خوفها. جلست وعزفت كيفما شاءت حتى جاءت هانا لاصطحابها إلى المنزل لتناول العشاء. بعد تلك التجربة، ذهبت بيث للعزف على البيانو كل يوم تقريبًا. ولم تشك أبدًا أن السيد لورانس هو من يترك لها الأغاني الجديدة وكتب التدريبات، أو أنه يفتح باب مكتبه ليستمع إلى عزفها، أو أن لوري كان يحرص على عدم مقاطعة أي شخص لها. شعرت بيث بامتنان كبير لتلك النعمة حتى إنها سألت أمها هل لها أن تصنع خفًّا جديدًا للسيد لورانس للتعبير عن شكرها له.

وافقت السيدة مارمي بالطبع، وساعدتها ميج وجو على اختيار التصميم والخامات، وشرعت بيث في صنع الخُف. كانت بيث خياطة بارعة، ولم يستغرق صنع الخُف منها وقتًا طويلًا. كتبت رسالة قصيرة، وطلبت من لوري أن يأخذ الخف خلسة إلى حجرة المكتب الخاصة بجده ويضعه فوق المنضدة في الصباح حتى يراه عندما يستيقظ.

انتظرت بيث لتعرف وقع الهدية على السيد لورانس. مرَّ يومان دون أن تسمع شيئًا، فساورها القلق أن تكون قد أغضبت صديقها العجوز. في ظهيرة اليوم الثاني، خرجت بيث للقيام بأمر ما، وعندما عادت وجدت شقيقاتها وهانا في انتظارها عند الباب الأمامي والحماسة تملؤهن.

قالت جو: «تعالي بسرعة، هناك خطاب لك!»

قالت إيمي: «أوه بيث! لقد أرسل لك ...»

فوضعت جو يدها فوق فم إيمي، كي لا تفسد المفاجأة الرائعة.

عندما دخلت بيث إلى حجرة الجلوس، شحب وجهها من البهجة والمفاجأة معًا. إذ وجدت أمامها بيانو صغيرًا وفوقه خطاب مكتوب عليه: «الآنسة إليزابيث مارش.»

قالت بيث وهي تلهث: «أهذا لي؟» أمسكت بجو بإحكام خوفًا من أن تصاب بالإغماء في الحال.

أطلقت جو صرخة، وقالت: «أجل! إنه لك، أليس هذا بادرة طيبة منه؟ إنه أروع جدٍّ عجوز في العالم.»

حاولَت إعطاء الخطاب لبيث ومعه مفتاح البيانو، لكن بيث هزت رأسها بالرفض؛ إذ كانت في حالة من الانفعال الشديد، ففتحته جو، وقرأت: «الآنسة مارش، لقد امتلكت الكثير من الأخفاف في حياتي، لكن لم يناسبني أي منها كذلك الخف الذي صنعتِه لي.

أود تقديم شيء لك في المقابل؛ هذا البيانو يخص حفيدتي التي فقدُتها، لك جزيل الشكر وخالص التمنيات. صديقك، جايمس لورانس.»

قالت جو: «يا له من شرف عظيم! أخبرني لوري كم كان السيد لورانس يحب حفيدته التي ماتت، وأنه يعتني بأغراضها بشدة، والآن يقدم لك البيانو الخاص بها!»

لم تفق بيث من صدمتها إلا بعد أن جلست وعزفت على البيانو. صاح الجميع في دهشة إنه أروع بيانو سمعوا صوته مطلقًا. نظرت الفتيات في فرحة كبيرة إلى شقيقتهن الغالية وهي تعزف بأصابعها على مفاتيح البيانو الجميل وتضغط على بدَّالاته اللامعة!

قالت جو: «عليك أن تشكريه.» وقد غاب عن بالها أن بيث الخجولة لا يمكن أن تفعل شيئًا كهذا أبدًا.

– «أجل، أعتقد أنني سأذهب إليه الآن قبل أن يزداد ذعري.»

حدثت المعجزة التي أثارت دهشة العائلة، وخرجت بيث من منزلها، ومرَّت بالحديقة، واتجهت نحو منزل السيد لورانس، ودخلت المنزل، وطرقت باب حجرة المكتب.

صاح صوت أجش: «تفضَّل!»

توجهت بيث نحو السيد لورانس، ومدَّت يدها، وقالت بصوت يرتعش: «جئت لأشكرك على ...» لكنها لم تستطع إنهاء الجملة. بدا حنونًا وودودًا للغاية حتى إنها عانقته. فكرت بيث في الفتاة الصغيرة التي فقدها، فطبعت قُبلة على وجنته.

تأثر السيد لورانس كثيرًا بدفء مشاعر بيث التي أذابت معها قساوته الظاهرة. أجلسها على ساقيه وكأنه استعاد حفيدته مرة أخرى. زالت مشاعر الخوف عن بيث، وتحدَّثت معه وكأنها تعرفه من قديم الأزل. عندما عادت إلى المنزل، سار معها حتى الباب، ثم صافحها، وابتسم لها وهو يرفع قبعته ليودعها على نحو راق.

لم تصدق شقيقاتها ما حدث؛ فرقصت جو، وكادت إيمي أن تسقط من النافذة وهي تشاهد ما يحدث، أما ميج فصاحت: «لا بد أن نهاية العالم قد اقتربت!»

الفصل السادس

إيمي في بحر من المهانة

كثيرًا ما كانت تنطق إيمي بكلمات خاطئة، كانت تلك إحدى صفاتها المميزة والمحببة. ذات يوم، مر لوري أمام منزل عائلة مارش وهو يمتطي حصانًا. راقبته إيمي، ثم قالت: «إنه يشبه العملاق سايكلوب.»

سألتها جو: «ماذا تقصدين؟ إن عينيه جميلتان!» كانت جو تمقت أن يذكر أحد صديقها العزيز بسوء.

ردت إيمي سريعًا: «لم أقل شيئًا عن عينيه، أنا أبدي إعجابي بمهاراته في ركوب الخيل.»

ضحكت جو بصوت عال، وقالت: «إذن تقصدين المخلوق الأسطوري سِنتور.»

لم تحب إيمي استهزاء جو بها، فقطَّبت جبينها دقيقة للكلمة الخاطئة التي تفوهت بها، ثم قالت بصوت خافت: «ليتني أملك قليلًا من المال الذي ينفقه لوري على ذلك الحصان.»

سألتها ميج: «لماذا؟»

اعترفت لها إيمي أنها غارقة في الديون. وأنها مدينة باثنتي عشرة ليمونة مخللة على الأقل لزميلاتها بالمدرسة. حاولت ميج أن تتعاطف معها، وسألتها هل أصبح الليمون عملة شائعة بالمدارس هذه الأيام.

شرحت لها إيمي أن الليمون يُتداوَل بين الأصدقاء مقابل الأقلام الرصاصية والحِليّ والدُمى الورقية. إذا أحبتك فتاة، فشرف كبير أن تعطيك ليمونة، وإذا لم تكن تحبك، فستأكلها أمامك فحسب. «والآن أنا مدينة بالكثير من الليمون، ولم أوفِ ولو بواحدة على الرغم من أنه ينبغي علي ذلك حقًّا.»

أخرجت ميج حقيبة النقود، وأعطت إيمي المال لشراء الليمون. شكرتها إيمي بحرارة. والآن أصبح بمقدورها إثبات أنها ليست أقل من صديقاتها.

تأخرت إيمي في الوصول إلى المدرسة في اليوم التالي، إذ توقفت لشراء خمسة وعشرين ليمونة لذيذة. وفي المدرسة انتشر خبر الليمون الذي أحضرته إيمي، فأغدقتها زميلاتها بالاهتمام، حتى إن جيني سنو — التي كانت تسخر من إيمي لعدم امتلاكها لليمون — عاملتها بلطف. هذا لا يعني أن إيمي سامحتها على ما فعلت، فإيمي لا تنسى أبدًا أي إساءة. وعلى الفور أخبرت جيني أنها لن تعطيها أي ليمون.

في ذلك اليوم، حضر زائر مهم إلى المدرسة، وامتدح الخرائط التي رسمتها إيمي. عندما ملأ إيمي الغرور والكبرياء، ملأت الغيرة قلب جيني. وما إن غادر الزائر حتى أخبرت جيني المعلم، السيد دافيس، أن إيمي لديها ليمون مخلل تحت مقعدها.

كان السيد دافيس قد حظر إحضار الليمون إلى الفصل، وهدَّد بعقاب فوري لأي طالب يخالف أوامره. كان السيد دافيس معلمًا طيبًا، لكنه لا يفهم الفتيات الصغيرات. لم يكن السيد دافيس يحتمل إساءة السلوك، وفوق هذا وذاك كان قد استيقظ عكر المزاج ذلك الصباح. لذا عندما سمع كلمة «ليمون» من شفتي جيني، استشاط وجهه العابس غضبًا.

– «آنساتي، أعيروني انتباهكن!»

عم الصمت أرجاء الفصل، وأخذت الفتيات الخمسون يحملقن في المعلم.

– «آنسة مارش، تعالي هنا من فضلك.»

نهضت إيمي، لكنها شعرت بالخوف لأنها خالفت القواعد.

– «أحضري الليمون من أسفل مقعدك.»

شعرت إيمي بذعر أكبر، فذهبت وأخرجت من الكيس ست ليمونات، ووضعتها أسفل مقعدها، وأخذت الباقي إلى السيد دافيس. تمنَّت أن يلين قلبه عندما يشتم رائحة الليمون الطيبة، لكن السيد دافيس لم يكن يحب رائحة الليمون المخلل، بل كانت تزيد غضبه.

– «هل هذا كل ما لديك؟»

تلعثمت إيمي، وقالت: «ليس بالضبط.»

– «أحضري الباقي على الفور.»

امتثلت إيمي لأوامره.

سألها السيد دافيس: «هل أنت واثقة أنه ليس لديك المزيد؟»

– «أنا لا أكذب يا سيدي.»

– «حسنًا، خذي الآن هذه الأشياء الكريهة وألقي بها من النافذة.»

شهق التلاميذ بالفصل كله، فقد ضاع أمل وليمة الليمون إلى الأبد. ذرعت إيمي الفصل جيئة وذهابًا اثنتي عشرة مرة من النافذة وإليها، وشعور الخزي يعتصرها في كل مرة تلقي بليمونها المنتفخ المليء بالعصارة في الشارع.

عندما انتهت، قال لها المعلم: «مدِّي يدك يا آنسة مارش.»

انتفضت إيمي، فقد كانت إحدى الطالبات المفضلات لدى السيد دافيس، وتمنَّت ألا يتمادى أكثر في عقابها. وضعت يدها خلف ظهرها، وخرج صوت هسيس من بين شفتيها دون وعي، فزاد غضب السيد دافيس الذي كرر: «مدِّي يدك يا آنسة مارش!»

رفعت إيمي الأبِيَّة رأسها، ومدَّت راحت يدها، وتلَّقت الضربات دون أن تظهر تألُمًا أو خوفًا. كانت هذه هي المرة الأولى التي تُضرب فيها إيمي، وشعرت بخزي شديد داخل نفسها الأبِيَّة.

– «الآن قفي على المنصة حتى يحين وقت الراحة.»

يا له من موقف مهين أن تقف أمام الفصل كله ويشاهدها أصدقاؤها وأعداؤها على حد سواء! ولأنها تمر بهذا الوضع المخزي للمرة الأولى فقد بدا أنه يفوق قدرتها على الاحتمال. وقفت إيمي وعيناها مرتكزتان على الموقد الموجود في آخر الفصل. ظلت صامتة ونالت عقابها. كان قلبها ينزف دمًا ويدها تؤلمها، لكن لم يكن ألمُهما يضاهي ألمَ تفكيرها في العودة إلى المنزل وإخبار أسرتها بما حدث ومواجهة شعورهن بالإحباط.

مرت الدقائق الخمس عشرة التي وقفتها إيمي كالدهر. وعندما حان وقت الراحة، رمقت إيمي السيد دافيس بنظرة لن ينساها أبدًا. ثم اتجهت إلى مقعدها، وجمعت أغراضها، وغادرت إلى المنزل وهي عازمة على ألا تعود إلى المدرسة مرة أخرى.

وطوال ما تبقى من الصباح، لم تجد إيمي من يخفف عنها آلامها، وكانت لا تزال غاضبة في الظهيرة عندما عادت أمها وشقيقاتها اللائي داوَيْن يدها المتقرحة وروحها المجروحة حتى إن هانا العجوز نعتت السيد دافيس بأنه «وغد».

بالمدرسة لم يلحظ أحد أن إيمي غادرت منذ ساعات حتى حضرت جو ومعها رسالة من السيدة مارمي، ثم جمعت بقية أغراض شقيقتها وغادرت.

منذ ذلك الحين، أخبرت السيدة مارمي ابنتها إيمي أن بإمكانها الدراسة بالمنزل مع بيث.

– «هذا رائع! ليت كل من بالمدرسة يتركونها وتصبح خاوية على عروشها. ربَّاه! كم أشعر بالحزن عندما أتذكر ذلك الليمون الجميل.»

أجابتها مارمي: «لقد خالفت القواعد، واستحققت العقاب.»

صاحت إيمي: «هل تقصدين أنك سعيدة بالمهانة التي تعرضت لها.»

– «لا بالطبع، فأنا أعارض ضرب المعلمين للتلاميذ، لكن غرورك يزداد، وعليك أن تتعلمي كيف تكونين متواضعة.»

صاح لوري الذي كان يلعب الشطرنج مع جو في زاوية المنزل: «بالضبط! أعرف فتاة تتمتع بموهبة كبيرة في العزف وتؤلف أغاني جميلة، وعلى الرغم من ذلك لا تعرف قدر نفسها.»

فكرت بيث لحظة: «ليتني أتعرف على تلك الفتاة، لعلَّ بإمكانها مساعدتي!»

قال لوري: «أنت تعرفينها بالفعل، وهي تساعدك أكثر من أي شخص آخر.» لمعت عيناه السوداوان بالمكر، واحمرت وجنتا بيث عندما أدركت أنه يتحدث عنها. سمحت له جو بالتغلب عليها في اللعب مقابل مدحه لشقيقتها الخجولة. بعد ذلك لم ينجح أي منهم في إقناع بيث بالعزف على البيانو، وغنى لوري وعزف بدلًا منها.

بعد أن غادر لوري، سألت إيمي عن السبب وراء تواضعه على الرغم مما حققه من إنجازات طيبة. أجابتها السيدة مارمي أنه على الرغم من أن لوري إنسان ناجح للغاية، فقد استغل مواهبه بصورة متواضعة. أنعمت إيمي التفكير طويلًا في ملاحظة أمها هذه، وأثرت فيها كثيرًا.

الفصل السابع

شجار عنيف

كانت ميج وجو تستعدان للخروج من المنزل لقضاء أمسيتهما بالخارج، فكانت القفازات والأوشحة ودبابيس الشعر مبعثرة في أرجاء حجرة نومهما.

دخلت إيمي عليهما وسألتهما: «أين ستذهبان؟»

أجابتها جو في حدة: «ما شأنك؟ يجب ألا تطرح الفتيات الصغيرات الأسئلة.»

مع ذلك كانت إيمي تشعر بالفضول، لذا توجهت بالسؤال إلى ميج الأكثر مرونة: «رجاءً أخبريني يا ميج، فبيث تلعب مع دمياتها، وليس هناك ما أفعله، اسمحا لي بالذهاب معكما!»

أجابتها ميج: «لا أستطيع اصطحابك معنا لأنك لست مدعوة.»

أضافت جو: «كفاك إلحاحًا! ببساطة لا يمكنك المجيء معنا.»

– «ستخرجان مع لوري، أليس كذلك؟»

أومأت ميج: «أجل، والآن توقفي عن إزعاجنا.»

جلست إيمي في هدوء دقيقة، ثم رأت ميج تضع مروحة يدوية في جيبها، فشهقت وقالت: «أعلم إلى أين ستذهبان! ستذهبان إلى المسرح!»

استشاطت جو غضبًا وانزعجت كثيرًا.

لم تعبأ إيمي واستطردت: «سأذهب معكما، فمعي مصروفي، وأخبرتني أمي أنني أستطيع مشاهدة المسرحية بالبلدة.» ثم أخذت نفسًا عميقًا: «كم أنتما خبيثتان لأنكما لم تخبراني!»

شرحت لها ميج برفق، إذ كانت تجمعها علاقة من نوع خاص مع إيمي، «إن أمي لا تريدك أن تذهبي اليوم معنا، لأنك لست بخير. ستشاهدين المسرحية الأسبوع المقبل مع هانا وبيث.»

صاحت إيمي: «لكن لن يكون الأمر ممتعًا مثلما سيكون معك أنت وجو ولوري. أنا مريضة بالبرد منذ فترة طويلة، وأتوق لأن أحظى ببعض المتعة.»

استدارت ميج إلى جو، وقالت: «ما رأيك أن نصطحبها معنا؟ سنجعلها ترتدي الكثير من الملابس التي تبعث على الدفء.»

قالت جو في حزم: «لن أذهب إذا ذهبت! وإذا لم أذهب، فسينزعج لوري. لقد دعانا نحن الاثنتين، ولم يدع إيمي. ليتها تفكر جيدًا قبل أن تتطفل علينا وتأتي معنا دون دعوة.»

زاد غضب جو من إصرار إيمي على الذهاب، وشرعت في ارتداء حذاءها وقالت: «سأذهب معكما، لقد قالت ميج توًّا إنه يمكنني ذلك!»

قالت جو بسرعة: «وأين ستجلسين، هناك كرسيان محجوزان لنا!»

بدأت إيمي تبكي وحاولت ميج تهدئتها. صاح لوري من الخارج وقال إنه حان وقت الذهاب. لم تكف إيمي عن العويل، فقد نسيت تظاهرها بأنها فتاة ناضجة وتصرفت كطفل مدلل. وعندما خرجت ميج وجو من الباب الأمامي، صاحت إيمي من عند درابزين السلم: «ستندمين على هذا يا جو مارش!»

صاحت جو: «هراء!» وصفعت الباب. وللمرة الثانية، اصطدمت طبيعة جو سريعة الغضب مع إرادة إيمي الحديدية.

عندما عادت الفتاتان إلى المنزل بعد انتهاء المسرحية، كانت إيمي تقرأ في حجرة المعيشة ورفضت التحدث معهما. تحققت جو من حجرتها لتطمئن أن كل شيء على ما يرام، ففي آخر مرة تشاجرت فيها مع إيمي، أخرجت إيمي فساتين جو من الأدراج وألقتها على الأرض. لكن هذه المرة بدا كل شيء طبيعيًّا بغرفة جو، فظنت أن إيمي سامحتها ونسيت الأمر.

لكنها كانت مخطئة، ففي اليوم التالي، اقتحمت الكاتبة الصغيرة غرفة المعيشة وهي تصيح: «هل أخذت إحداكن كتابي القصصي؟»

أجابتها ميج وبيث على الفور: «كلا.»

استدارت جو إلى أختها الصغرى التي كانت تذكي نيران المدفأة: «إيمي، إنه معك! من المؤكد أنه معك.»

– «كلا، ليس معي.»

– «إذن تعرفين أين هو.»

– «كلا.»

صاحت جو: «أيتها الكاذبة!» وأمسكت أختها من كتفها.

– «كلا، لست كذلك، لا أدري أين هو ولا أهتم بذلك.»

هزت جو أختها قليلًا: «من الأفضل لك أن تخبريني بالحقيقة!»

– «اغضبي كما شئت، لن تري قصصك القديمة مرة أخرى.»

استشاطت جو غضبًا: «لماذا؟»

– «لقد أحرقتها في نيران المدفأة.»

«ماذا فعلتِ؟» شحب وجه جو وأحكمت قبضتها حول كتف إيمي. «كتابي الذي استغرق مني أعوامًا؟ كتابي الذي أردت الانتهاء منه قبل عودة أبي إلى المنزل؟ هل أحرقته بالفعل؟»

– «أجل، أحرقته! لقد أخبرتك أنك ستدفعين ثمن ...»

انفجرت جو، وأخذت تهز شقيقتها هزًّا عنيفًا حتى بدأت أسنان إيمي تصطك. «أيتها الشريرة، أيتها الشريرة! لن أستطيع كتابته مرة أخرى. لقد ضاع إلى الأبد. لن أسامحك ما حييت، لن أسامحك أبدًا!»

هرعت ميج لإنقاذ إيمي من قبضة جو، وحاولت بيث تهدئة جو، لكن كان أمرًا مستحيلًا. وفي النهاية سددت جو لكمة لإيمي عند أذنها، وركضت إلى علية المنزل لتمكث وحدها وسط أحزانها.

كان كتاب جو الذي يضم قصصًا خيالية مصدر فخرها وفرحتها. وفي صميم قلبها كان حزنها أكبر من أي عزاء.

كان الاجتماع على العشاء لا يحتمل، إذ كانت جو متجهمة. أوضحت السيدة مارمي لإيمي مدى شناعة فعلتها، وصدقت بيث وميج على كلام أمِّهما. شعرت الفتاة الصغيرة بالاستياء من نفسها، وتمنَّت كثيرًا أن تسامحها جو في تلك اللحظة. توسلت إلى جو من كل قلبها: «أرجوك يا جو، سامحيني، أنا في غاية الأسف.»

نظرت جو إلى إيمي والشرر يتطاير من عينيها: «لن أسامحك أبدًا!» وتوقفت عن الحديث مع إيمي.

عمَّ التوتر أرجاء المنزل؛ عزفت بيث على البيانو لكن جو ظلت صامتة وأخذت إيمي تبكي. ذهبت مارمي إلى جو لتقبيلها قبل أن تخلد إلى النوم وهمست في أذنيها: «لا تخلدي إلى النوم وأنت غاضبة يا عزيزتي، حاولي أن تسامحيها رجاءً.» أرادت جو أن

تبكي لكنها حبست دموعها، وقالت بصوت عال بما يكفي كي تسمع إيمي: «لقد ارتكبت فعلة شنيعة ولا تستحق السماح.»

استيقظت جو وهي تشعر بأنها على شفا الانفجار، وكانت إيمي مثقلة بالهموم، وأخذت تبدي ملاحظات ساخرة حول الأشخاص غير المتسامحين. مر ذلك اليوم المرير من فصل الشتاء على نحو سيئ على عائلة مارش.

بعد أن عادت جو من عملها، لم ترد المكوث في المنزل، فقررت أن تذهب إلى لوري وتدعوه إلى التزلج على الجليد معًا. سمعت إيمي جو وهي تحضر حذاء التزلج من خزانتها فقالت لميج في تذمر: «لقد وعدتني بأنها ستأخذني معها! أعتقد أنه لا فائدة من طلب ذلك منها الآن.»

أجابتها ميج: «لقد أسأت التصرف للغاية، لقد عملت جو بكل كد في ذلك الكتاب. لها كل الحق في أن تغضب منك.» ثم توقفت ميج عن الخياطة، وقالت: «لكن من الممكن أن تسامحك بعد أن يعمل لوري على تهدئتها. يمكنك اللحاق بهما، وقبّلي جو في اللحظة المناسبة، وسيكون كل شيء على ما يرام.»

تعاملت إيمي مع نصيحة ميج بجدية، وركضت خلف جو ولوري. استعدت جو ولوري للتزلج قبل أن تصل إيمي بفترة. رأت جو أختها وهي في طريقها إليها فأدارت لها ظهرها، لم يلحظ لوري إيمي لأنه كان يختبر الجليد. صاح: «تزلجي عند الأطراف، أعتقد أن منطقة المنتصف غير آمنة.»

سمعت جو إيمي وهي تواجه صعوبة مع حذاء التزلج الخاص بها، لكنها لم تلتفت إليها. تزلجت جو بجانب النهر وهي تشعر برضا ممزوج بالمرارة لأن أختها تواجه صعوبات. سمعت جو تحذيرًا آخر من لوري، لكن إيمي لم تسمعه، فالجزء الغاضب داخل جو جعلها لا تعبأ بالخطر الذي قد تواجهه إيمي. تزلجت إيمي نحو منتصف النهر. استدارت جو في اللحظة المناسبة، فرأت أختها تسقط وسط النهر. وقفت جو لحظة واحدة في ذهول، رأى لوري ما حدث، وصاح: «أسرعي! أحضري حبلًا معدنيًّا!» فعلت جو ما أمرها به لوري. حاول الاثنان جاهدين إخراج إيمي التي كانت تشعر بالذعر أكثر من الألم الذي تسببه المياه.

قال لوري: «لا بد أن نعود بها إلى المنزل في أقصى سرعة، لندثرها بمعاطفنا لتدفئتها.»

وصلت إيمي إلى المنزل بمساعدة جو ولوري وهي تبكي وترتجف ويتقطر منها الماء. سرعان ما غُطيت إيمي بالبطاطين وجلست أمام المدفأة. أخذت جو تركض هنا

وهناك في محاولاتها لإراحة إيمي حتى إنها لم تلحظ أن فستانها تمزق كثيرًا أو أن يديها مجروحتان أو بهما رضوض.

في وقت لاحق، ضمدت مارمي يدي جو المتقرحتين. بكت جو لأنها كانت تشعر بالاستياء من نفسها عندما تفكر أنها السبب في وقوع حادثة مروعة لأختها إيمي. قالت جو لأمها: «كيف أتعامل مع انفعالاتي الشديدة؟ إنها تهزمني.»

طبعت مارمي قبلة على وجنة جو المبتلة بالدموع، وقالت لها: «اعتدت أن أكون حادة الطباع مثلك تمامًا، وطالما حاولت أن أتخلص من ذلك الأمر على مدى أربعين عامًا، ولم أنجح إلا في التحكم في انفعالاتي فحسب.»

شعرت جو بتحسن عندما عرفت أن أمها كانت تعاني العبء نفسه. أخبرت مارمي جو أن الأمر يكون أفضل كثيرًا عندما تتحكمين في غضبك بحكمة، وأن تكوني صبورة وطيبة القلب. عانقت مارمي جو عناقًا حارًّا، وشعرت جو على الفور بأن حالها أفضل.

تحركت إيمي من شرنقتها.

قالت جو: «سمحت لنفسي أن أظل غاضبة، ولولا لوري، لكان من الممكن أن تموت إيمي. كيف أصبحت شريرة هكذا؟»

فتحت إيمي عينيها، ومدت يدها إلى جو بابتسامة اخترقت قلب جو على الفور. لم تنطقا بكلمة واحدة، بل تعانقتا وسامحت كل منهما الأخرى، ونسيتا كل شيء بقبلة من القلب.

الفصل الثامن

ميج وحياة الترف

حلَّ شهر أبريل/نيسان على البلدة الخاملة، وتحسنت الأحوال الجوية أخيرًا. كانت ميج تستعد لقضاء أسبوعين بمنزل آني موفا. فقد أصيب أطفال أسرة كينج التي تعمل لديهم بالحصبة، لذا ستقضي ميج إجازة لم تكن في الحسبان. في البداية ترددت السيدة مارمي في السماح لميج بالمكوث عند عائلة موفا، لكن صديقتها سالي جاردينر وعدتها بأن تعتني بميج. ساعدت الشقيقات الثلاث ميج في الاستعداد للرحيل.

صاحت جو وهي تطوي تَنُّورات ميج: «أسبوعان كاملان من الاستمتاع، يا له من شيء رائع!»

أضافت بيث التي كانت ترتب لها الشرائط التي تُلَف حول الشعر والعنق: «أنت محظوظة لأن الجو أصبح رائعًا.»

تنهدت إيمي، وقالت: «ليتني أستطيع قضاء وقت طيب وارتداء ملابس جميلة.»

قالت ميج: «ليتكن تستطعن المجيء معي، سأتذكر كل مغامراتي لأحكيها لكُنّ عندما أعود. هذا أقل شيء يمكنني تقديمه لكُنّ مقابل مساعدتكن.»

سألتها جو: «ماذا أعطتك أُمُّنا من صندوق الكنوز؟»

– «الجورب الحريري الطويل، وتلك المروحة اليدوية وذاك الوشاح الأزرق المزخرف. أردت الفستان الحريري بنفسجي اللون، لكن لم يكن هناك وقت للاستبدال.»

كذلك استعارت ميج كل الأغراض الجميلة التي تمتلكها شقيقاتها. مع ذلك شعرت بالإحباط لأن ملابسها كانت عتيقة الطراز، وتاقت ميج إلى الملابس الأنيقة التي تمتلكها الفتيات الثريات.

قالت ميج في أسف: «أتساءل هل سيأتي وقت أمتلك فيه شرائط أنيقة على ثيابي وأناشيط بقبعاتي جميعها.»

ذكَّرتها بيث بأنها كانت بالأمس في غاية السعادة لأن آني موفا وجهت إليها الدعوة إلى منزلها فحسب.

قالت: «أنت على حق يا بيث، لقد قلت ذلك بالفعل، وأنا فعلًا سعيدة.» نظرت ميج إلى حقيبتها الكبيرة، وهو ما بث إلى نفسها شعورًا بالبهجة. قالت: «كل شيء جاهز فيما عدا فستان الحفل، ستصلحه أمي.» ومع أن فستان الحفل الأبيض مر بالكثير من الإصلاحات، فإنها كانت تشعر بالسعادة.

في صباح اليوم التالي، ارتدت ميج أفضل ثيابها للسفر، ورحلت عن منزلها في إجازة تستمر أسبوعين. شعرت ميج بالغربة عندما وصلت إلى منزل موفا الفاخر الذي يمتاز ساكنوه بالرقي والأناقة. كانت عائلة موفا طيبة وخيِّرة بالرغم من نمط معيشتهم المترف. سرعان ما أدركت ميج أن عائلة موفا في غاية البساطة على الرغم من حياة الترف التي يحيونها، وشعرت بالطمأنينة هناك. وسرعان ما اعتادت على نمط رائع من تناول الطعام الشهي والركوب في عربة جميلة وارتداء أفضل ثيابها، ولم تكن تفعل شيئًا سوى الاستمتاع بوقتها. اتبعت ميج عادات الوسط الراقي كالفتيات الأخريات، فبدأت تتصرف بكبرياء، وتستخدم عبارات فرنسية في كلامها وتصفف شعرها مثلهن. وكلما رأت ميج أشياء آني موفا الجميلة، زاد حسدها لها.

لكن لم يكن لدى ميج متسع من الوقت تندب فيه حظها، إذ كانت شديدة الانشغال بقضاء وقت ممتع. تسوقت الفتاتان وتجولتا في المدينة سيرًا، وامتطتا الخيل، وزارتا الأصدقاء معًا. وفي المساء كانتا تذهبان إلى الأوبرا أو المسرح أو تمرحان بالمنزل.

كانت شقيقتا آني الكبريان مرحتين ومهذبتين. إحداهما تدعى بيل، وكانت مخطوبة، وهو ما رأته ميج أمرًا رومانسيًّا للغاية. أحب السيد موفا وزوجته ميج كثيرًا، مثل حب ابنتهما لها. ونادياها باسم «ديزي» وكثيرًا ما كانا يطريان عليها. سرعان ما اعتادت ميج على كل ذلك الاهتمام.

عندما أقيم أول حفل مسائي رسمي، ارتدت جميع الفتيات فساتين جديدة، أما ميج فكانت ترتدي فستان الحفلات الوحيد لديها، الذي بدا قديمًا ورثًّا مقارنة بفساتين الفتيات. لم يعلق أحد على ثياب ميج، لكن ميج شعرت بجرح في كبريائها وشعرت بخزي وخجل شديدين. صفَّفت سالي وآني وبيل شعر ميج وساعدنها في ارتداء وشاحها، حتى إنهن امتدحن ذراعها الأبيض الجميل. شعرت ميج بأنهن يشفقن عليها لفقرها الشديد.

شعرت بحزن عميق حتى دخلت الخادمة وهي تحمل صندوقًا به زهور جميلة. فتحت آني سريعًا غطاء الصندوق، وسرعان ما أبدت الفتيات إعجابهن بالزهور. قالت آني: «لا بد أنها من أجل بيل، أنا واثقة! دائمًا ما يرسل إليها خطيبها الزهور.»

قالت الخادمة: «الزهور مرسلة للآنسة ميج.» ثم أعطتها رسالة. تجمعت الفتيات حول ميج وطرحن عليها الأسئلة. قالت ميج وهي تضع الرسالة في جيبها: «الرسالة من أمي، أما الزهور فهي من لوري.» رفعت كلمات مارمي الحانية من روحها المعنوية، وشعرت بسعادة غامرة لأن لوري يتذكرها. وضعت بضع زهرات جانبًا لنفسها، ثم صنعت إكليلًا صغيرًا لصديقاتها. كانت سعيدة للغاية حتى إنها نسيت أمر فستانها الرديء.

في ذلك المساء، رقصت ميج كيفما شاءت، وأمضت وقتًا سعيدًا حتى سمعت حديثًا بمحض الصدفة جعلها تشعر بالغضب الشديد.

قال أحدهم: «كم عمره؟»

أجاب صوت آخر: «ستة عشر أو سبعة عشر على ما أظن.»

– «أعتقد أنه سيكون مناسبًا لإحدى الفتيات، أليس كذلك؟ أخبرتني سالي أنه على وفاق شديد معهن، والجدُّ العجوز يعشقهن.»

– «لقد أحكمت السيدة مارمي وضع خطتها، وتنفذها على نحو صحيح، مع أن الوقت مبكر قليلًا على زواج ميج.» على الرغم من أن الصوت كان خافتًا، أدركت ميج أنه كان صوت السيدة موفا.

– «لقد احمرت وجنتاها عندما جاءتها الورود، ثم تظاهرت بأنها لم تكن تتوقع الرسالة. يا للأسف! كان من الممكن أن تكون رائعة الجمال، إذا كانت أكثر أناقة. هل تعتقد أنه من الممكن أن نعيرها فستانًا لحفل يوم الخميس؟»

– «إنها أبِيَّة، لكن ليس لديها سوى ذلك الثوب القديم لترتديه.»

– «سأدعو الفتى لورانس للمجيء إلى هنا من أجل ميج.»

عندما عاد شريك ميج في الرقص ومعه شراب لها، كان وجهها أحمر اللون وتشعر بالتوتر. ساعدها كبرياؤها على إخفاء غضبها، وحاولت نسيان ما سمعته، لكنه ظل يتردد في أذنيها. أرادت بشدة أن تهرع إلى منزلها وتتحدث مع شقيقاتها وتطلب النصح من أمها. لكن لم يكن ذلك في الإمكان، لذا فعلت ما بوسعها كي تبدو سعيدة حتى انقضاء الأمسية. ونجحت في ذلك، فلم يشك أحد أنها تتظاهر بالسعادة.

عندما انتهى الحفل وأصبحت في غرفتها، بكت قليلًا، وظلت مستيقظة طويلًا تفكر جيدًا فيما حدث.

في صباح اليوم التالي، استيقظت ميج بقلب حزين وعينين متورمتين. فقد تعكر مزاجها تمامًا، أدركت أنه كان عليها أن تتحدث الليلة الماضية دون خوف وتصحح سوء الفهم. جلست الفتيات للخياطة تلك الظهيرة، عاملن ميج بكل احترام، فشعرت بالدهشة والرضا.

قالت بيل: «لقد وجهت دعوة لصديقك السيد لورانس لحضور حفل يوم الخميس، سيسرنا التعرف عليه أكثر، ودار بخلدنا أن ذلك الأمر سيسعدك.»

احمرت وجنتا ميج، وفكرت لحظة، ثم قالت: «كم أنت طيبة القلب، لكن من المحتمل ألا يستطيع المجيء.»

سألتها بيل: «لماذا؟»

أجابتها ميج: «لأنه طاعن في السن!»

– «كم عمره؟»

– «سبعون عامًا تقريبًا.» حاولت ميج ألا تضحك.

قهقهت بيل، وقالت: «أيتها الساذجة، نقصد الشاب.»

قالت ميج: «إنه ليس شابًّا، إن لوري صبي صغير.»

تبادلت الفتيات النظر في استغراب. قالت آني: «إنه من نفس سنك أليس كذلك؟»

أجابتها ميج: «كلا، فهو من عمر شقيقتي جو، سأبلغ السابعة عشرة في أغسطس/آب القادم.»

قالت آني: «لكنه أرسل إليك زهورًا؟»

أجابتها ميج: «إنه يفعل هذه الأشياء مع عائلتي طوال الوقت، فأمِّي وجدُّه صديقان قديمان، ونحن نلعب معًا.» تمنت جو أن تكون أوضحت الأمور بهذا الكلام.

همست آني لبيل: «إنها ساذجة للغاية، أليس كذلك؟»

دخلت السيدة موفا، وسألت هل تحتاج الفتيات إلى أي شيء. أخبرتها سالي أن ثيابها جاهزة لحفل الخميس. وقالت ميج الشيء نفسه على الرغم من أنها كانت بحاجة إلى الكثير من الأشياء الجديدة التي لا تملكها.

بعد أن خرجت السيدة موفا، سألتها سالي: «ماذا سترتدين؟»

قالت ميج: «فستاني الأبيض القديم إذا تمكنت من إصلاحه لحفل يوم الخميس، فقد تمزق بالأمس.»

قالت سالي: «لماذا لا تطلبين إرسال فستان آخر من منزلك؟»

تناست ميج كبرياءها، وأجابتها: «ليس لدي فستان آخر.»

قالت بيل: «لست بحاجة إلى طلب فستان آخر من منزلك، يمكنك استعارة فستان منِّي.»

ابتسمت ميج: «هذا لطف منك، لكن فستاني القديم يناسبني تمامًا.»

توسلت إليها الفتيات واستجدينها حتى وافقت ميج على استعارة أحد فساتين بيل. فقد نسيت تمامًا الحديث الذي سمعته بالأمس.

في يوم الخميس، دخلت ميج مع بيل إلى غرفتها، وأغلقتا الباب. وبمساعدة الخادمة، أصبحت ميج في قمة أناقتها. ساعدتاها في ارتداء فستان ضيق أزرق اللون من الحرير، وصفَّفتا لها شعرها، ووضعتا المساحيق على رقبتها وذراعيها، وأرادتا وضع أحمر شفاه لها لكنها رفضت بحزم. أيضًا ارتدت سوارًا وقلادة وقرطًا. شعرت ميج بأنها تحولت إلى فتاة أخرى، وبدت جميلة للغاية.

اتجهت ميج إلى الطابق السفلي وهي ترتدي حذاءً عالي الكعب، وحاولت جاهدة ألا تطأ فستانها. أمطرها الجميع بعبارات الإطراء والمديح، حتى إن سالي أخبرتها أنها تبدو جميلة للغاية، وحاولت أن تخفي غيرتها.

كان جو ذلك الحفل مختلفًا تمامًا عن الحفل السابق. والفتيات اللاتي تجاهلن ميج من قبل يعيرونها الآن الكثير من الانتباه. والشباب الذين اكتفوا بالنظر إليها في الحفل السابق، طلبوا التعرف إليها.

كانت السيدة موفا منشغلة بتعريف السيدات الأكبر سنًّا بميج. قالت: «ديزي مارش، أبوها عقيد في الجيش، تنحدر من عائلة رفيعة المقام، لكنهم مروا بأوقات عصيبة جدًّا، وهي صديقة مقربة لعائلة السيد لورانس. إنها فتاة رائعة، ابني نيد معجب جدًّا بها.»

صُدمت ميج عندما سمعت كذب السيدة موفا الواضح. كان من الصعب عليها التظاهر بأنها لم تسمع همسات الآخرين وحديثهم عنها. قررت ببساطة أن تمضي وقتًا ممتعًا. أدت دورها جيدًا، على الرغم من أن قدمها كانت تؤلمها من الحذاء، بل إنها تودَّدت إلى أحد الشباب بعض الوقت.

وفجأة وصل لوري. حدق بميج في دهشة واستهجان. رمقت بيل وآني إحداهما الأخرى بنظرات ماكرة، وأثار ذلك الأمر حيرة ميج أكثر، فقررت أن تصحح الموقف وتلقي التحية على لوري.

قالت: «كنت أخشى ألا تحضر.»

– «أرادت جو أن أحضر كي أخبرها كيف تبدين.»

سألته ميج: «بماذا ستخبرها؟»

– «سأخبرها أنك مختلفة تمامًا عن ميج، تبدين أكبر سنًّا إلى حد يخيفني قليلًا.»

قالت ميج: «هذا سخيف، لقد ألبستني الفتيات فستانًا لأمضي وقتًا ممتعًا. ألن تذهل جو إذا رأتني الآن؟»

– «بالطبع ستشعر بالذهول!»

تأذت مشاعر ميج، وقالت: «ألا يعجبك مظهري هكذا؟»

– «كلا، لا يعجبني.»

– «لماذا؟»

نظر لوري إلى فستانها الأنيق وكتفيها العاريين، وشعرها الملفوف، «لا أحب المبالغة في الزينة.»

كان لذلك الكلام وقع قاسٍ للغاية لا سيما أن من يقوله صبي يصغرها سنًّا. قالت ميج في غضب: «أنت أكثر الفتيان وقاحةً في العالم!»

ثم مشت نحو النافذة كي تهدأ، وبعد أن استمعت مصادفة لتعليق بغيض عن ملبسها المبالغ فيه، أدركت أنه كان ينبغي لها ارتداء فستانها القديم، بدلًا من أن تشعر بالانزعاج والخزي هكذا. وقفت ميج وحاولت إخفاء نفسها جزئيًا خلف الستار حتى جاء لوري ومدَّ يده وقال: «أرجوك سامحيني على فظاظتي وارقصي معي.»

أوضح أنه على الرغم من عدم إعجابه بالفستان، فهي تبدو جميلة بالفعل. حاولت أن تعبر عن غضبها، لكن رقصتها المفضلة كانت قد بدأت. دار الاثنان في سعادة ولم يتوقفا حتى شعرت ميج بانقطاع أنفاسها.

سألته: «لوري هل من الممكن أن تقدم لي خدمة؟»

– «بالطبع!»

– «لا تخبرهن بالمنزل عن فستاني هذا.»

سألها لوري: «لماذا ارتديته إذن إذا كنت تشعرين بالخجل هكذا؟»

«لا مانع لدي أن يعرفن بأمر الفستان، لكنني أريد أن أخبرهن بنفسي.» ثم صمتت لحظة واستطردت: «سأضطر للاعتراف بتصرفاتي الحمقاء.»

أومأ لوري: «حسنًا، ماذا أقول عندما يسألنني؟»

– «أخبرهن أني أمضي وقتًا سعيدًا وأني كنت جميلة فحسب.»

بدا لوري قلقًا وقال: «هل تحظين بوقت ممتع فعلًا؟»

– «ليس في هذه اللحظة. أردت بعض المرح، والآن أشعر بالسأم من الأمر.»

سار نيد موفا في اتجاهها ليرقص معها. نظرت ميج إلى لوري ورفعت عينيها، فضحك، وعلم أن ميج تقصد أن نيد شخص مثير للضجر.

لم ير لوري ميج إلى ما بعد انتهاء العشاء عندما رآها تحتسي الخمر مع نيد وصديقه فيشر. كان الاثنان يتصرفان تصرفات حمقاء، ثم انصرف نيد ليحضر كأسًا أخرى ومضى فيشر ليحضر لها مروحتها اليدوية.

همس لوري إلى ميج: «ستعانين صداعًا مروعًا إذا أفرطت في الشراب. وقد لا تحب أمك هذا الأمر.»

أجابته: «أنا لست ميج هذه الليلة، أنا فتاة مدللة حمقاء تفعل أشياء مجنونة. غدًا سأعود ميج مرة أخرى وأخلع ثوب البهرجة والترف.»

طوال ما تبقى من المساء شاهد لوري ميج وهي ترقص وتضحك وتتحدث وتتودد إلى الفتيان. شعر بالإحراج من سلوكها، وكان يريد أن يتحدث إليها، لكن ميج تجنبته حتى حان وقت مغادرته.

حينئذ قالت له ميج: «لا تنطق بكلمة واحدة!» ووضعت إصبعها فوق شفتيها.

أجابها لوري بجدية: «أعدك بذلك.»

كانت الفتيات يشعرن بالفضول لمعرفة المزيد عن لوري، لكن ميج كانت متعبة للغاية وتعاني صداعًا. كانت سعيدة لأن يوم السبت قد اقترب، ولم يعد أمامها في ذلك المنزل سوى يومين. كانت مشتاقة إلى العودة إلى المنزل، وشعرت بالإنهاك التام بعد أسبوعين من المرح.

أخبرت ميج شقيقاتها بمغامراتها عندما عادت إلى المنزل. وفي يوم الأحد بعد أن أوت بيث وإيمي إلى الفراش، جلست في هدوء بجانب المدفأة.

– «البيت مكان رائع حتى لو كان يخلو من مظاهر الترف والفخامة.»

قالت مارمي: «أنا سعيدة للغاية لسماع هذا الكلام منك يا ميج، كنت أخشى أن تشعري بالملل بعد أن أمضيت وقتًا في ذلك المنزل الراقي.»

فكرت ميج دقيقة، ثم قالت: «مارمي، يجب أن أعترف بشيء.»

أخبرت أمها وجو بكل شيء حدث في الحفل الذي أقامته عائلة موفا، بما في ذلك فستانها الأنيق واحتساؤها الخمر. قالت إنها أدركت أن لوري شعر بخيبة أمل من سلوكها. ووصفت لهما توددُّها للفتيان والثرثرة التي سمعتها بالمصادفة.

شحب وجه مارمي، وصاحت جو: «هذا كلام فارغ! لماذا لم تخبريهم بالحقيقة.»

أطرقت ميج برأسها، وقالت: «شعرت بالخزي والإحراج، علاوةً على أن هذا الأمر أغضبني كثيرًا.»

صاحت جو: «هل يظنون أننا نتعامل بود مع لوري وجدِّه ليتزوج لوري من إحدانا؛ يا له من أمر سخيف.» ثم ضحكت. وتعهدت بأن توبِّخ آني موفا عندما تراها.

أخبرت مارمي جو في هدوء أن الثرثرة لا تدوم، وستصبح في طي النسيان في أسرع وقت ممكن. لقد أحكمت مارمي خططها بالفعل من أجل بناتها، لكن هذه الخطط ليست كما ظنَّت السيدة موفا على الإطلاق. فقد أرادت لبناتها أن يكبرن ويصبحن ناجحات وطيبات، وأن يحظين بإعجاب واحترام الآخرين، وأن يؤسسن حياة نافعة وسعيدة. أرادتهن أن يعثرن على الحب من أجل الزواج، وألا يتزوجن من أجل الثراء.

وأضافت: «صبرًا جميلًا، واتركا الأمور تأخذ مجراها، سيسير كل شيء كما ينبغي له تمامًا.» وبعد تلك النصيحة الرائعة، أوت الفتاتان إلى الفراش وهما مرتاحتا البال وقلباهما مملوءان بالآمال.

الفصل التاسع

تجارب

في يوم دافئ من أيام شهر يونيو/حزيران عادت ميج إلى المنزل وقالت في حماسة: «ستذهب أسرة كينج لقضاء عطلة على شاطئ البحر اعتبارًا من الغد. أنا حرة! إجازة مدتها ثلاثة شهور كاملة!»

ارتمت جو فوق الأريكة، وخلعت بيث حذاءها المغطى بالتراب، وأعدَّت إيمي عصير ليمون للجميع. ثم قالت جو: «ذهبت العمة مارش إلى بلَمفيلد اليوم. كنت أخشى كثيرًا أن تطلب مني مرافقتها. في اللحظة التي صعدت فيها إلى العربة، ركضت إلى المنزل.»

ضمت بيث قدم جو إلى صدرها، وقالت: «مسكينة يا جو، لقد جاءت إلى هنا ركضًا وكأن الدببة تطاردها!»

سألتها إيمي وهي ترتشف عصير الليمون: «العمة مارش تشبه مضَّاضي الدماء، أليس كذلك؟»

تنهَّدت جو، وقالت: «تقصدين مصَّاصي الدماء، لكن لن أزعج نفسي بكلماتك الخاطئة اليوم؛ فالجو حار بما يكفي.»

غيَّرت إيمي الموضوع، وقالت: «ماذا ستفعلان في إجازتكما؟»

فكَّرت ميج لحظة، ثم أجابتها: «سأستلقي على السرير، ولن أفعل شيئًا! كنت أستيقظ باكرًا طوال الشتاء لأعتني بأشخاص آخرين. لذا في الصيف سأسترخي وأستلقي على السرير قدر ما شئت.»

قالت جو: «أما أنا، فلن أكفَّ عن القراءة! وسأمضي بعض الوقت برفقة لوري.»

قاطعتها إيمي، وقالت: «لنتوقف عن المذاكرة يا بيث، ونلهو طوال الوقت.»

أجابتها بيث: «سيكون ذلك ممتعًا، لكن إذا وافقت أمُّنا. هناك أغانٍ جديدة أود تعلمها، ودُمياتي تحتاج ملابس جديدة.»

كانت مارمي تخيط في هدوء في زاوية من المنزل، فسألتها ميج: «يا أمي، هلا تسمحين لنا؟»

أجابتها السيدة مارمي: «يمكنكن القيام بذلك مدة أسبوع، وأظن أنه بحلول يوم السبت القادم ستشعرن بأن كل اللهو والخمول لا يقل سوءًا عن العمل الشاق طوال الوقت.»

تنهَّدت ميج: «كلا! أنا واثقة أنه سيكون رائعًا تمامًا.»

رفعت جو كوبها: «نخب الاستمتاع طوال الوقت وعدم العمل!»

احتست الفتيات عصير الليمون في سعادة، وأمضين باقي اليوم مستلقيات في المنزل.

وفي اليوم التالي، لم يمر أي شيء كما المتوقع. فلم تنجز الأعمال المنزلية، واستمتعت كل فتاة من الفتيات الأربعة بطريقتها. لكن لم يكُنَّ سعداء تمامًا. ظلَّت جو تقرأ إلى أن آلمتها عيناها حتى إنها تشاجرت مع لوري. أما إيمي فبعد أن حاولت الرسم خارج المنزل، هطلت الأمطار وأفسدت فستانها. خرجت ميج للتسوق فوجدت الأقمشة من نوع رديء. أما بيث فأخرجت كل شيء من الخزانة لتصنع منزلًا جديدًا لدمياتها، ولكنها شعرت بالتعب وتركت العمل دون أن تنهيه. وعند العشاء اتفقت الفتيات على أنه على الرغم من المتعة التي حظين بها، بدا اليوم أطول دون عمل يشغلهن.

بحلول يوم الجمعة، استيقظت الفتيات وهن يشعرن بالاكتئاب. لم تعترف أي منهن بأن التجربة في طريقها للفشل. قررت السيدة مارمي أن تضفي قليلًا من المتعة، لذا أعطت هذا اليوم إجازة لهانا، وعندما استيقظت الفتيات صباح السبت وجدن المطبخ موحشًا بلا فطور، ولم يجدن مارمي في الطابق السفلي.

صاحت جو: «ماذا يحدث؟»

صعدت ميج إلى الطابق العلوي، وعندما عادت شرحت الأمر: «أمُّنا متعَبة، وستستريح اليوم، علينا أن نتعامل مع الأمر على أفضل نحو ممكن.»

قالت جو: «حسنًا، أنا أتوق إلى القيام بشيء، أعني قليلًا من الإثارة.»

كان إنجاز بعض الأعمال أمرًا يبعث على الراحة. جهَّزت الفتاتان الصغريان المائدة، وأعدَّت جو وميج الفطور.

أحضرت ميج صينية الطعام إلى مارمي. كان بها شاي مرٌّ، وبسكويت طري، وبيض محروق. عندما غادرت ميج، ضحكت مارمي كثيرًا، وقالت: «مسكينات! سيمررن بوقت عصيب، لكن ذلك في صالحهن.»

اشتكى الجميع من الفطور المروع، وعندما حان موعد الغداء، قررت جو أن تطهو، ووافقت ميج على مضض بعد أن أحدثت تلك الفوضى.

دعت جو لوري لتناول الغداء معهن تعويضًا عن المشاجرة. وبثقة كاملة في مهاراتها، حددت أصناف الطعام التي ستصنعها وأعدَّت قائمة بالطلبات. لم يكن هناك سوى مشكلة واحدة؛ وهي أنه ليس لدى جو أي فكرة عن الطهي. عرضت ميج مساعدتها في حالة الضرورة، على الرغم من أنها لا تعرف عن عالم الطهي أكثر من إعداد رغيف خبز. وبعد أن غادرت مارمي المنزل لتناول الغداء بالخارج، أصبحت جو وحدها دون أي مساعدة.

وفجأة سمعت جو بيث تبكي في حجرة المعيشة، فهرعت إليها فوجدتها تنتحب لموت بيب، عصفور الكناري، الذي كان ممددًا داخل قفصه بلا حراك، فقد نسين أن يقدمن له الطعام. أخرجته بيث من قفصه، وبكت: «يا لك من مسكين يا بيب! كم أنا قاسية القلب؟ لقد نسيتك تمامًا.»

قالت جو: «سنقيم له جنازة ملائمة بعد الغداء. لا تبكي يا بيث، إنه أسبوع غريب، وموت بيب المسكين أسوأ ما فيه.»

تركت جو بيث بين أحضان ميج وإيمي الدافئة، وعادت إلى المطبخ. أشعلت جو الموقد وجمعت الصحون، وأثناء تسخين الماء، ذهبت إلى السوق، واشترت سمكة سلطعون صغيرة ونبات الهليون وصندوقين من الفراولة الحامضة.

عندما عادت إلى المنزل، اكتشفت أن ميج قد نسيت الخبز، وأنه تخمَّر أكثر من اللازم، ومع ذلك اضطرت جو إلى خبزه. كدَّت جو في تحضير الغداء حتى أنهت كل شيء.

لكن اتضح أن الغداء كارثة أكبر من الفطور. فقد تُرِك الهليون على النار أكثر من اللازم، واحترق الخبز، ولم تكن البطاطا تامة النضج، وفسد السلطعون. أما الكعكة فكانت مُكتَّلة، والقشدة فوقها حامضة. والأسوأ من ذلك، أنها وضعت ملحًا فوق الفراولة بدلًا من السكر، كادت جو تبكي عند المائدة. لمعت عينا لوري على الرغم من ذلك، فانفجرت جو في الضحك. وانفجر الجميع أيضًا في الضحك، وبدلًا من أن يحظى الجميع بغداء رائع خططت له جو، تناولوا البسكوت والزبد والزيتون، وحظوا ببعض المرح.

بعد الظهر أقاموا جنازة ملائمة للعصفور بيب.

أمضت جو وميج باقي اليوم في تنظيف الفوضى جراء تحضير الطعام المروع. أرادت بيث أن تنام، لكن لم تكن الأسِرَّة مرتَّبة، لذا أمضت الظهيرة في نفش الوسادات وتنفيض الأغطية.

عادت مارمي إلى المنزل، ووجدت بناتها الأربعة في حالة من الإنهاك والإحباط وقد سئمن من التجربة.

– «حسنًا يا فتياتي، هل اكتفيتن بأسبوع من اللهو، أم تردن أسبوعًا آخر؟»

قالت جو في حزم: «لا أريد أسبوعًا آخر؛ أنا واثقة.» وافقتها شقيقاتها في ذلك. ثم أضافت جو: «والعمل طوال الوقت دون وقت للهو لا يناسبنا أيضًا، هذا أمر مؤكد!»

سألت ميج: «يا أمي، هل خرجت اليوم لترين كيف سندبر أمورنا في غيابك؟»

ابتسمت مارمي، وأومأت برأسها، ثم أوضحت لهن أنه لا يمكن أن تسير الأمور في المنزل دون أن يعمل الجميع. ثم سألتهن: «أليس من الأفضل أن تكددن في عملكن حتى تستمتعن بأوقات الفراغ؟»

وافقتها الفتيات الرأي، فقد تعلمن جميعهن درسًا سيبقى معهن طيلة العمر؛ وهو أنه لا بد أن يكون هناك توازن وتناسق بين العمل واللهو.

الفصل العاشر

مخيم لورانس

في يوم من أيام شهر يوليو/تموز دخلت بيث المنزل وهي تحمل فوق ذراعيها الكثير من الطرود. فقد عُيِّنت المسئولة عن صندوق البريد الذي أنشئ بين منزلي عائلة مارش وعائلة لورانس من باب المزاح، وذلك لأنها كانت تمضي معظم وقتها بالمنزل.

إحدى هذه الطرود كان مميزًا، وبعد أن فتحته ميج وجدت فيه خطابًا وفردة قفاز واحدة. ثم تذكرت ميج أنها تركت زوج قفاز بمنزل لوري: «يا إلهي! أين الفردة الأخرى؟» قالت بيث إنها وجدت فردة واحدة في صندوق البريد.

«كم أكره القفازات الفرادى.» توقفت ميج عن الخياطة وفتحت الخطاب. كان يحوي ترجمة لأغنية ألمانية. قالت: «لا بد أن السيد بروك من كتبه، فهذا ليس خط لوري.»

رمقت مارمي ابنتها الجميلة بنظرة. وخطر لها أن هناك علاقة عاطفية تنمو بين ميج والسيد بروك. لم تدر ميج فيما تفكر أمها، لكنها كانت سعيدة للغاية، وجلست تخيط وهي تغني.

كان يوجد طرد آخر لجو. ضحكت جو عندما أعطتها بيث قبعة كبيرة متدلية الأطراف، وشرحت لهن الأمر: «أخبرتُ لوري منذ بضعة أيام أنني أتمنى أن تصبح القبعات الكبيرة موضة اليوم لأن الشمس تسفعني، فقال لي: «لماذا تهتمين بالموضة؟ ارتدي قبعة كبيرة من أجل راحتك.»»

كذلك تلقت جو رسالة من أمها، التي عبرت فيها عن فخرها لأنها نجحت في التحكم في غضبها. وخطابًا آخر من لوري يدعو الجميع إلى الخروج في نزهة؛ فأصدقاؤه — أسرة فون — قادمون من إنجلترا.

تحمست جو، وقالت: «هل تسمحين لنا بالذهاب يا مارمي؟ سنقدم أنا وميج المساعدة وستحظى بيث وإيمي بالمتعة.»

سألتها ميج: «هل تعرفين أي شيء عن أسرة فون؟»

أجابتها جو: «إنهم أصدقاء لوري من الخارج. كيت أكبر منك سنًّا، والتوءم فريد وفرانك من عمري، وجريس تبلغ من العمر نحو تسعة أعوام.»

قالت ميج التي دائمًا تهتم بمظهرها: «حمدًا لله أنني اشتريت فستانًا جديدًا! هل لديك شيء لائق ترتدينه يا جو؟»

أدارت جو عينيها ثم قالت إن حُلَّة الإبحار الرمادية ستفي بالغرض. بقطع النظر عن أي شيء، سنمضي اليوم في التجديف وتناول الطعام بالخارج.

قالت بيث إنها تخشى الأولاد الغرباء قليلًا، لكنها تود كثيرًا أن تذهب إلى هناك. حثَّت جو شقيقاتها على إنهاء الأعمال المنزلية بحيث يتمكنّ من قضاء إجازة وهن مطمئنات.

عندما استيقظت جو صباح اليوم التالي، لاحظت أن إيمي تضع مشبك غسيل حول أنفها كي تستقيم إلى أعلى بقطع النظر عن الألم الذي تشعر به، فضحكت جو. كان اليوم مشرقًا وجميلًا ومثاليًّا للتنزه بالخارج. ارتدت الفتيات الأربعة ملابسهن. كانت بيث أول من انتهت من ارتداء ملابسها ثم اتجهت إلى النافذة لتراقب المشهد الصاخب بالخارج. نقلت لشقيقاتها ما يحدث وقالت: «أوه، لوري يرتدي ملابس بحَّار، ونيد موفا وسالي جاردينر والسيد بروك بالخارج أيضًا، يا لها من متعة سنحظى بها يا فتيات! يا لها من متعة!»

سرعان ما أصبحت الفتيات الأربعة جاهزات، كانت ميج تشعر بالخزي لأن شقيقتها جو ترتدي قبعتها الكبيرة ذات الأطراف المتدلية. ثم اتجهن إلى منزل لوري لمقابلة أصدقائه. عرفهن لوري بأصدقائه على نحو لائق، لاحظت جو أن كيت متحفظة. فكَّرت في نفسها: «لعل ذلك السبب الذي يجعل لوري يتوقف عن الكلام فجأة عندما يتحدث عنها.»

تغلبت بيث على خجلها قليلًا عندما لاحظت أن فرانك يسير بمساعدة عكاز، كان طيب القلب رقيقًا. وسرعان ما تصادقت إيمي مع جريس الصغيرة وكأنهما تعرفان إحداهما الأخرى منذ زمن بعيد.

حاول فريد الماكر قلب القاربين في المياه، وضحك الجميع على قبعة جو الغريبة. تعجبت كيت من جو التي صرخت دون إدراك منها عندما فقدت مجدافها: «النجدة!»

نُصِبت الخيمة الكبيرة عندما وصلوا إلى المتنزه. قفز لوري، وأعلن بصوت مبتهج: «مرحبًا بكم في مخيم لورانس!» ثم اقترح أن يلعبوا مباراة كروكيه قبل تناول الغداء. قسَّموا أنفسهم إلى فريقين. حاولت جو السيطرة على انفعالاتها عندما رأت فريد فون يغش، فلم يكن الأمر ذا أهمية، لأنهم جميعًا أمضوا وقتًا طيبًا وهم يمارسون تلك اللعبة.

حان وقت الغداء بعد ذلك، وساهم الجميع في إعداده. جمع المخيمون الأصغر سنًّا العصي لإشعال نيران. وأعدَّت الفتيات الأكبر سنًّا المائدة، وأشعل الأولاد النيران. كانت الوجبة رائعة، وتناولوا الكثير من الطعام. أكل لوري وجو في طبق واحد لأنهم فقدوا واحدًا.

قال لوري: «يوجد ملح، إذا أردت وضعه على الفراولة.»

ضحكت جو: «كيف تذكرني بذلك الغداء المروع في حين أن كل شيء هنا رائع للغاية.»

«أنا لم أفعل شيئًا، فأنت وميج والسيد بروك قمتم بكل شيء.» ثم صمت لحظة وأردف: «ماذا سنفعل بعد الغداء؟»

أجابته جو: «سنلعب في الخيمة حتى يهدأ الجو. لقد أحضرت إحدى الألعاب، وأعتقد أن كيت تعرف ألعابًا جديدة. يجدر بك الاهتمام بها أكثر من ذلك، فهي ضيفتك.»

احتج لوري وأخبرها أنها أيضًا ضيفته، إلى جانب أنه ظن أن كيت والسيد بروك سيمضيان فترة ما بعد الظهر معًا، لكن السيد بروك ظل يتحدث مع ميج.

رمقته جو بنظرة، وفي النهاية تنهَّد لوري، وقال: «حسنًا، سأذهب إليها.»

جلست المجموعة كلها داخل الخيمة في انتظار انقشاع الحرارة. كانت جو على حق، فكيت تعرف بعض الألعاب المنزلية الممتعة. لعبوا الكثير من الألعاب. بعد ذلك تركت كيت وميج والسيد بروك الصغار يلعبون في الخيمة. جلسوا فوق الحشائش، وبدأت كيت ترسم. قالت ميج بلهفة: «رائع! ليتني أستطيع أن أرسم!»

سألتها كيت: «لماذا لا تتعلمين الرسم؟»

– «ليس لدي وقت.»

«لماذا؟» ثم سألتها كيت بلهجتها البريطانية: «هل المدرسة تمنع ذلك؟»

قالت ميج: «كلا، أنا لا أذهب إلى المدرسة، فأنا أعمل مربية أطفال.»

ارتسمت على وجه كيت علامات استنكار فاحمرَّ وجه ميج خجلًا. شرح لها السيد بروك: «الفتيات الأمريكيات يتمتعن بالاستقلالية. ويحظين بالإعجاب لأنهن يعتمدن على أنفسهن.»

لم تتأثر كيت على ما يبدو بكلام السيد بروك، وهذا ما جعل ميج تشعر بالسوء أكثر. استدار السيد بروك إلى ميج وسألها هل أعجبتها الأغنية الألمانية التي ترجمها لها.

أشرق وجهها، وقالت: «أجل، أعجبتني كثيرًا. شكرًا لك.»

وعلى مدى بقية اليوم انشغل السيد بروك وميج في تجاذب أطراف حديث ودود. انتهى اليوم بلعب مباراة كروكيه. وعند الغروب، فككوا الخيمة، وحزموا أغراضهم، ووضعوها في الزوارق، وشقوا طريقهم إلى المنزل. أكَّد الجميع أن مخيم لورانس كان ناجحًا نجاحًا مبهرًا!

الفصل الحادي عشر

أحلام يقظة

جلس لوري فوق أرجوحته الشبكية في يوم دافئ من أيام شهر سبتمبر/أيلول. تساءل ماذا يفعل جيرانه الآن، لكنه كان يشعر بالكسل، فلم يذهب ليستكشف بنفسه. لم يكن قد أنهى واجباته الدراسية، وهو الأمر الذي أثار إحباط السيد بروك. وبدلًا من إنهاء واجباته، عزف على البيانو، مما أغضب جده. ثم مزح مزاحًا ثقيلًا مع إحدى الخادمات، وتشاجر مع السائس. لذا بدا كل من بالمنزل غاضبًا من لوري. لحسن الحظ، غلبه النعاس، ونام بعض الوقت فتحسنت حالته المزاجية. سمع لوري أصواتًا أيقظته من حلم رأى فيه أنه يخوض مغامرة في البحار. فتح عينيه فرأى الشقيقات الأربعة يخرجن من المنزل.

كان شكلهن غريبًا، ترتدي كل واحدة منهن قبعة كبيرة وحقيبة معلقة على كتفها وتمسك عكازًا. مرت الفتيات بالحديقة، ثم صعدن فوق التل في اتجاه النهر. شعر لوري بالتجاهل والإهمال لأنهن لم يدعُنَّه، فقرر اتِّباعهن.

عثر عليهن جالسات في ركن ظليل. كانت ميج تخيط، وإيمي ترسم، وجو تَحبك وتقرأ بصوت عال، أما بيث فكانت تفرز كيزان الصنوبر. شعر لوري بالاستياء من نفسه لأنه تلصص عليهن، لكنه كان يشعر بالوحدة، لذا اقترب منهن.

سألهن: «هل تسمحن لي بالانضمام إليكن؟ أم أنني سأزعجكن؟» رفعت ميج أحد حاجبيها.

قالت جو: «بالطبع يمكنك الانضمام إلينا. كان يجدر بي أن أطلب ذلك منك، لكن لم أكن واثقة أنك ستحب ألعاب الفتيات.»

– «أنا على ثقة أنها ستكون ممتعة، لكن إذا أرادت ميج أن أنصرف، فسأنصرف.»

قالت ميج: «يمكنك المكوث معنا ما دمت ستفعل شيئًا، فهذا مجتمع الفتيات الكادحات، وغير مسموح بالخمول هنا.»

– «ماذا ينبغي علي أن أفعل؟»

أعطته جو كتابًا ليقرأه بصوت عال أثناء حبكها لعقب جوربها. عندما انتهى، سألهن: «ما اللعبة التي سنلعبها؟»

سألت ميج شقيقاتها: «هل نخبره؟»

حذَّرتها إيمي: «سيسخر منا!»

وعدهن لوري: «كلا، لن أسخر، هذا وعد مني.»

شرحت له جو أنهن يسعين طوال العام إلى أن يكُنَّ فتيات طيبات ومعطاءات. وأنهن يأتين إلى هذه البقعة ليعملن حيث يستمددن الإلهام من منظر النهر الأزرق الواسع والتلال الخضراء والسحب البيضاء التي تتلألأ في سماء المدينة كأبراج الكنيسة. وعلى سبيل الاستمتاع، يرتدين القبعات القديمة، ويؤدين مسرحية «السائح المسيحي» في طريقهن إلى تلك البقعة.

تنهدت جو: «ألن يكون الأمر ممتعًا إذا تحققت كل أحلام يقظتنا؟»

قال لوري إنه من الصعب عليه السعي وراء تحقيق حلم واحد لأن لديه الكثير من الأحلام.

سألته جو: «ما حلمك المفضل؟»

– «سأخبركن بحلمي إذا أخبرتموني جميعًا بأحلامكن.»

وافقت الفتيات على ذلك.

قال لوري بنبرة واثقة: «أحلم بأن أنتقل إلى ألمانيا، وأعيش هناك، وأصبح عازفًا مشهورًا. هذا هو حلم يقظتي.» ثم استدار إلى ميج، وقال لها: «حان دورك.»

قالت ميج: «أود أن أكون ربة منزل جميل، وأن أديره على خير وجه.»

مازحها لوري: «مع زوج رائع؟»

احمرَّ وجه ميج، وقالت جو في حزم: «لن يكون حلمك مثاليًّا إلا بوجود زوج طيب وملائكة صغار من حولك، وأنت تعلمين ذلك!»

أجابتها ميج على الفور: «وحلمك أنت أن يكون لديك خيول، وأقلام وحبر، وروايات من تأليفك!»

ابتسمت جو: «بالضبط! أود أن أكتب، وتكسبني قصصي شهرة كالشهرة التي سيحققها لوري من عزفه!»

قالت بيث في هدوء: «حلمي أن أمكث بالمنزل مع أمي وأبي وأساعدهما في الاعتناء بالأسرة.»

سألها لوري: «أهذا كل شيء؟»

قالت بيث: «أجل، لا سيما بعد أن حصلت على البيانو الصغير. هذا كل ما أحتاج.»

قالت إيمي فجأة: «حلمي أن أذهب إلى روما وأصبح فنانة مشهورة.»

فكَّر لوري وقال: «يا لنا من أشخاص طموحين! كلٌّ منا يحلم بالثراء والشهرة، ما عدا بيث. أتساءل هل سننجح في تحقيق أحلامنا.»

قالت جو: «لديّ مفتاح تحقيق حلمي، لكنني لا أدري هل سأستطيع تحقيقه؛ فهذه قصة أخرى.»

تنهَّد لوري، وقال: «أنا أيضًا.»

رفعت إيمي قلمها الرصاصي، وقالت: «وها هو مفتاحي!»

قالت ميج بصوت خافت: «ليس لدي أي مفتاح.»

أجابها لوري: «بلى، وجهك الحسن.» احمرَّ وجه ميج خجلًا للمرة الثانية. قال: «صبرًا جميلًا وستتأكدين أن وجهك الجميل سيحقق لك شيئًا جديرًا بالاهتمام.»

اقترحت جو: «لنتفق أن نتقابل هنا بعد عشرة أعوام من الآن، ونرى إلى أي مدى وصلنا في تحقيق أحلامنا.» وافقها الجميع، وقالوا إنها خطة رائعة.

علَّق لوري وهو مستغرق في التفكير: «أتمنى أن أكون حققت شيئًا أفتخر به بحلول ذلك الوقت، لكنني كسول للغاية.»

قالت جو بنبرة مطَمْئِنة: «كل ما تحتاج إليه هو بعض الإلهام.»

قال لوري: «يجدر بي أن أكون سعيدًا لإرضاء جدي، فهو يريدني أن أتولى إدارة تجارة العائلة، وأنا أود أن أكون عازفًا، وأتمنى كثيرًا أن أرتحل في العالم.»

اقترحت جو: «يجدر بك أن تبحر بعيدًا، ولا تعد أبدًا إلا بعد أن تحقق ما تريد.»

قالت ميج في نبرة توبيخ: «هذا ليس بالأمر الصحيح يا لوري، ينبغي عليك أن تفعل ما يريده جدك. وحالما يتبين له أنك تبذل قصارى جهدك في الكلية، فمن المؤكد أنه سيحقق لك رغباتك.» واستطردت: «قم بواجبك وستحظى بالاحترام والإعجاب كالسيد بروك.»

سأل لوري ميج ماذا تعرف عن السيد بروك.

– «إنه اعتنى بوالدته حتى ماتت، والآن يعيل ممرضة أمه العجوز.»

وافقها لوري في أن السيد بروك رجل نبيل، ثم استرسلت ميج وأخبرت لوري أن عليه الاستماع إلى معلمه وعليه استذكار دروسه جيدًا. شعر لوري بالإهانة دقيقة، وبعدها استعاد روحه الفكاهية مرة أخرى.

استأنفت جماعة الفتيات الكادحات العمل، أما لوري فقد حاول جاهدًا أن يثبت براعته ليضمن عضويته في تلك الجماعة.

في الليل، أثناء عزف بيث على البيانو للجد لورانس، راقبهما لوري في هدوء من مدخل الباب. فكَّر كثيرًا فيما قالته ميج، وتعهَّد بينه وبين نفسه: «سأتخلى عن حلمي في الوقت الحاضر، وسأمكث مع جدِّي العزيز وقت احتياجه إليّ، فأنا كل ما تبقى لديه في الدنيا.»

الفصل الثاني عشر

أسرار

حل شهر أكتوبر/تشرين الأول فحلَّت معه البرودة وقصُر النهار. جلست جو في علية المنزل وهي مختبئة أسفل بطانية قديمة، وأخذت تكتب في عجلة وفأرها سكرابل يلعب عند قدميها. أنهت الجملة الأخيرة، ثم وقّعت في كل ثقة، وصاحت: «يا إلهي! لقد بذلت قصارى جهدي.»

ثم حزمت رزمة الورق بشريط أحمر، وأخرجت مخطوطة ثانية من مخبئها السري، ووضعتهما معًا في حقيبتها، وتسللت إلى الطابق السفلي في هدوء.

تسللت جو خارج المنزل، وشقَّت الطريق إلى المدينة. وعندما وصلت إلى وجهتها، ترددت عدة مرات في دخول المبنى. عُلِّقت عند مدخل المبنى لافتة إعلانية لطبيب أسنان، وفي المحاولة الثالثة، شقَّت طريقها عبر السلم المغطى بالتراب. كان لوري يمر على الجهة الأخرى من الشارع مصادفة حين رأى جو تدخل ذلك المبنى. عَبَر الشارع، وانتظر أسفل اللافتة. قال في نفسه: «ليس غريبًا على جو أن تأتي إلى هنا وحدها. إذا كانت تشعر بالألم، فسأصطحبها إلى المنزل.»

وفي غضون عشر دقائق، ظهرت جو ووجهها متشح بالاحمرار، وبدا عليها أنها كانت تمر بمحنة ما. لم تفرح جو عندما رأت لوري، وحاولت أن تتجاهله، لكنه اتبعها.

سألها: «هل كان الأمر بغيضًا؟»

– «ليس تمامًا.»

– «لكنك انتهيت سريعًا.»

– «أجل، حمدًا لله.»

سألها: «لماذا ذهبت وحدك؟»

– «لم أشأ أن يعرف أحد بالأمر.»

وبَّخها لوري: «أيتها الفتاة السخيفة، كم سِنًّا خلعت؟»

ضحكت جو، فقد أدركت أن لوري ظن أنها صعدت إلى طبيب الأسنان. لمعت عيناها وهي تجيبه: «عليّ أن أنتظر أسبوعًا من أجل الاثنين اللذين أريدهما أن يخرجا إلى النور.»

سألها لوري: «لماذا تضحكين؟ وماذا كنت تفعلين؟»

أجابته جو: «ماذا كنت تفعل أنت في صالة البلياردو تلك؟»

أوضح لها أنها ليست صالة بلياردو، بل هي صالة ألعاب رياضية. وأنه كان يحضر دروسًا للمبارزة بالسيف.

قالت جو: «رائع! هذه اللعبة ممتعة! يمكنك أن تعلمني، وحينها سنؤدي مسرحية هاملت.»

ضحك لوري، ووافق على تعليمها المبارزة بالسيف حتى لو لم يؤديا مسرحية هاملت. كان السير إلى المنزل ممتعًا لولا نشوب شجار صغير بينهما. حذَّرته جو من أن يكون فتى طائشًا، وأخبرته أن والدتها لا تحب ذلك.

– «هل ستوجهين لي النُصح طوال الطريق إلى المنزل؟»

أجابته جو: «بالطبع لا، لماذا تقول ذلك؟»

– «إذا كنت ستفعلين، فسأشق طريقي وحدي. وإن لم يكن ذلك، فسأخبرك بسر.»

تحمست جو كثيرًا عندما سمعت بأمر السر، وقالت: «لن أسدي إليك أي نصيحة أخرى، هيا أخبرني بالسر!»

لكن لوري لم يخبرها بالسر حتى أخبرته هي بما كانت تفعله في المدينة. أخبرته جو أنها كانت في مكتب الجريدة، وأنها تركت قصتين من قصصها مع المحرر، وأن عليها الانتظار أسبوعًا لتعرف هل تمت الموافقة على القصص أم لا.

صاح لوري: «مرحى يا جو مارش، المؤلفة المشهورة!» وقذف قبعته في الهواء.

تجهَّمت جو، وقالت: «توقف، قد لا يوافق المحرر على القصتين، لكنني لم أكن لأنعم براحة إلا إذا حاولت.»

أخبرها لوري أن قصصها رائعة، وأنها ستنتشر بالتأكيد. حان دوره الآن أن يخبرها بالسر. قال لها إنه يعلم أين توجد فردة قفاز ميج المفقودة، وهمس إنه رآها في جيب السيد بروك. «أليس هذا رومانسيًّا؟»

قطَّبت جو حاجبيها، وقالت: «كلا، إنه أمر مروع.» مقتت جو فكرة أن يأتي شخص ويأخذ ميج بعيدًا عن العائلة. «أعتقد أنني لا أحب الأسرار، أنا غاضبة الآن لأنك أخبرتني.»

أراد لوري التخفيف عنها، فقال: «ما رأيك أن نتسابق أثناء نزول التل؟»

ركض الاثنان بقوة عبر المنحدر، وسقطت قبعة جو ودبوس شعرها أثناء ركضها، لكن فورة النشاط حققت الهدف المنشود، وتحسنت حالتها المزاجية على الفور. وعندما أدركت لوري عند أسفل التل، كانت منقطعة الأنفاس.

قالت وهي تلهث: «ليتني كنت حصانًا، وحينئذ كنت سأتمكن من الركض أميالًا دون أن أشعر بالتعب. هل من الممكن أن تتصرف بنبل وتحضر لي أشيائي التي سقطت مني؟»

حاولت جو إصلاح تصفيفة شعرها قبل أن تقابل أحدًا في الطريق، لكن كان الأوان قد فات. حضرت ميج وهي ترتدي أفضل فساتينها، فنظرت إلى أختها، وقالت: «يا جو، متى ستكفين عن الركض طوال الوقت؟»

أجابتها جو: «لن أكف إلا عندما أصير عجوزًا شابَ شعرها. دعيني أعيش شبابي يا ميج.» عضَّت على شفتيها لتمنع نفسها من البكاء. استقر السر في أعماق قلبها، فآخر ما كانت تتمناه هو أن تكبر أختها وتتزوج.

تدخَّل لوري في الوقت المناسب، وسأل ميج: «أين كنت؟»

– «كنت بمنزل عائلة جاردينر، كانت سالي تخبرني بأدق تفاصيل زفاف بيل موفا؟»

سألها لوري: «هل شعرتِ بالغيرة.»

أقرت: «أجل للأسف.»

قالت جو بصوت خافت وهي تحرك قبعتها: «أنا سعيدة بذلك. إذا كنت تحبين الثراء، فلن تتزوجي رجلًا فقيرًا أبدًا.»

اتَّسعت عينا لوري، فهو لم يكن يود إفشاء السر.

قالت ميج: «لا أظن أنني سأتزوج أبدًا.» ومضت في طريقها أمامهما. تصرفت جو ولوري كالأطفال، وأخذا يقذفان الحجارة ويضحكان ويتهامسان. أرادت ميج الانضمام إليهما، لكنها لم تكن لتلهو معهما وهي ترتدي أفضل ثيابها.

على مدى أسبوع، تصرفت جو على نحو غريب للغاية، فكانت تهرع إلى الباب وقتما يأتي ساعي البريد. وكثيرًا ما كانت تتصرف بفظاظة مع السيد بروك وتحدق بميج بطريقة غريبة حتى احتارت العائلة بأكملها في أمرها. وعندما حل يوم السبت نظرت ميج من النافذة فرأت لوري يركض نحو جو في الحديقة. كان يلوح بصحيفة

في يده. انتزعتها جو منه، واندفعت داخل المنزل. ارتمت فوق الأريكة، وتظاهرت بقراءة الصحيفة.

سألتها ميج: «هل ثمة شيء مشوق بها؟»

رفعت جو عينها، وقالت: «قصة واحدة.»

أرادت بيث معرفة اسم القصة.

أجابتها جو: «الرسَّامون الأعداء.»

شعرت ميج بالفضول، وقالت: «لماذا لا تقرئينها لنا؟»

استمعت الفتيات بانتباه. تنحنحت جو، وقرأت القصة بسرعة البرق. أطرت كل فتاة على القصة بصورة مختلفة. ثم سألتها إيمي عن كاتبها.

جلست جو فجأة، وقالت: «شقيقتكن!»

علت أصوات البهجة بعدها، واطلعت كل واحدة منهن على اسم «الآنسة جوزفين مارش» المطبوع بوضوح. كانت جو تضحك وتبكي في الوقت نفسه، فأكثر أمنياتها قربًا إلى قلبها أن تكون مستقلة وتحظى بمديح أحبائها.

الفصل الثالث عشر

برقية

في يوم غائم من أيام شهر نوفمبر/تشرين الثاني، جلست الفتيات بعد الظهيرة وهن في مزاج سيئ. بعد ذلك عادت مارمي إلى المنزل، وحضر لوري وهو ما أدخل شيئًا من البهجة إلى نفوسهن.

سألهن لوري: «سأصطحب السيد بروك إلى المنزل بالعربة، هل تريد أي منكن أن تأتي معي؟»

قالت بيث وجو إنهما يودان الذهاب معه.

سأل لوري مارمي: «هل ثمة شيء يمكنني القيام به لك يا سيدتي؟»

قبل أن تجيبه مارمي، رنَّ جرس الباب، ودخلت هانا إلى حجرة المعيشة وعلى وجهها نظرة حائرة. قالت: «لقد وصلت برقية من تلك البرقيات المروِّعة يا سيدتي.»

أثناء قراءة السيدة مارمي البرقية بسرعة، شحب وجهها، وارتمت فوق مقعدها. ركض لوري لإحضار كوب ماء، وقرأت جو: «السيدة مارمي، زوجك مريض للغاية. احضري فورًا. إس هايل، مستشفى واشنطن.»

تبدَّل حال العائلة كلها فجأة، وصدمت الأنباء المفزعة الجميع. ضمت السيدة مارمي بناتها إليها بقوة، وقالت: «سأذهب على الفور، لكن قد يكون الأوان قد فات!»

بدأت أصوات النحيب تملأ الغرفة. أول من استفاق من الصدمة كانت هانا التي جلست وقالت: «كفى بكاءً! سأذهب لتحضير أغراضك يا سيدتي.» قالت مارمي في هدوء: «إنها محقة يا فتيات، لنهدأ حتى أستطيع التفكير.»

بذلت كل فتاة ما بوسعها كي تبقى هادئة. كانت مارمي لا تزال شاحبة الوجه، لكنها وقفت في ثبات. فكرت دقيقة، ثم قالت: «أين لوري؟»

قال وهو يسرع من الغرفة المجاورة: «ها أنا ذا، كيف لي أن أساعدك؟»

قالت مارمي: «رجاءً أرسل برقية تخبرهم فيها أنني سأحضر على الفور، وأن القطار التالي المتجه إلى واشنطن يغادر في الصباح الباكر.»

أومأ لوري برأسه، وقال: «أهناك شيء آخر يمكنني فعله؟ العربة جاهزة، يمكنني أن أذهب إلى أي مكان أو فعل أي شيء!» بدا لوري مستعدًا للوصول إلى القمر إذا ما استدعى الأمر.

أجابته مارمي: «لعلك تبعث برسالة إلى العمة مارش! يا جو أحضري لي قلمًا وورقة.»

فعلت جو ما طلبته أمها، شعرت بالعجز الشديد لأنها تعلم أنها ستقترض ثمن تذكرة القطار من العمة مارش. وتمنت لو أنها استطاعت أن تأتي بمال إضافي.

اندفع لوري نحو الباب الأمامي وهو يحمل رسالة في يده، ومضى في طريقه وكأن حياته تعتمد على ذلك الأمر. سرعان ما طلبت مارمي من بناتها القيام ببعض الأشياء، فطلبت من بيث إحضار زجاجات الخمر العتيقة من منزل السيد لورانس من أجل أبيها. حضر الرجل العجوز مع بيث، وأحضر كل ما رآه مناسبًا لشخص مريض. بل إنه سأل السيدة مارمي أن يرافقها في رحلتها الطويلة، لكن مارمي علمت أنه لن يتحمل الرحلة الطويلة، فشكرته وأخبرته أنها ستكون بخير وهي وحدها، مع أنها لم تكن تشعر بذلك. لم يفكر أحد في الأمر مرة أخرى بعد أن ودعهن السيد لورانس وغادر على عجالة إلى أن فتحت ميج باب المنزل لتجد السيد بروك.

قال وهو خافض عينيه البنيتين الجميلتين: «حضرت إلى هنا لأسأل هل ستسمح لي والدتك بمرافقتها إلى واشنطن.»

ابتسمت ميج ابتسامة دافئة، وقالت: «كم أنت طيب القلب! سيخفف ذلك عن أمي كثيرًا، شكرًا لك.»

عاد لوري بالمال من عند العمة مارش. حاولت الفتيات إنجاز الأمور والانشغال بالعمل في ظل تلك الظروف الصعبة. حاولن جميعًا عدم التفكير في أبيهن وحبسن دموعهن. ومع انقضاء الظهيرة، لاحظت ميج اختفاء جو. وأخيرًا وصلت جو، كان على وجهها تعبير غريب، ثم أعطت أمها حفنة من الدولارات، وقالت: «خذي يا أمي، هذه مساهمتي.»

شهقت مارمي، وقالت: «جو! من أين لك بخمسة وعشرين دولارًا؟»

أجابتها: «لا تقلقي يا مارمي، لقد اكتسبتها بطريق مشروع. فقد بِعتُ ما لدي.» ثم خلعت جو قبعتها وكشفت عن شعرها الطويل المتموج وقد قصته!

صاحت مارمي: «ماذا حلَّ بشعرك الجميل؟»

قالت جو: «لقد بِعتُه، سيناسبني هكذا، كان يُشعرني بالغرور الشديد.»

تنهَّدت إيمي، وقالت: «لقد كان أجمل ملامحك! ما الذي جعلك تفعلين ذلك؟» لم تستطع إيمي تصور تلك التضحية.

– «كنت أود مساعدة أبي بأي وسيلة، وهذا كل ما استطعت فعله.»

نظرت السيدة مارش في حب إلى ابنتها، وقالت: «شكرًا لك يا عزيزتي.»

الفصل الرابع عشر

الأمل والإيمان

لم تتحدث الشقيقات الأربعة كثيرًا صباح اليوم التالي عندما استيقظن في الصباح الباكر قبل موعدهن المعتاد في يوم بارد وغائم. تناولن الفطور في هدوء، كانت وجوههن بائسة أثناء انتظارهن للعربة التي ستقل أمهن إلى محطة القطار. أمرت السيدة مارمي بناتها ألا يقلقن وأن يحتفظن بالأمل وأن يجتهدن في أعمالهن. تعاملت الفتيات مع نصيحة أمهن بجدية، وعانقنها للمرة الأخيرة قبل أن ترحل هي والسيد بروك.

عندما توارت العربة عن أنظارهن، عادت الفتيات إلى المنزل، وتذكَّرن شعارهن الجديد: «الأمل والعمل بجدية.»

عادت جو وميج إلى العمل، وجلست إيمي وبيث بالمنزل لمساعدة هانا. وجدت الفتيات شيئًا من الراحة في العمل، وكذلك الأنباء التي وردت عن أبيهن كانت تبعث على الطمأنينة بقدر كبير. كان السيد بروك يبعث برسالة قصيرة كل يوم، واتضح من الرسائل أن أبيهن يتعافى. مرت الأيام والخطابات تتبادل بين المستشفى في واشنطن ومنزل عائلة مارش، وأصبحت الخطابات حبل النجاة في تلك الأيام العصيبة.

مرت عشرة أيام منذ رحيل مارمي إلى واشنطن. على الرغم من سعي الفتيات جاهدات إلى العمل بنصيحة أمهن «الاحتفاظ بالأمل والعمل بجدية»، حصلن على الكثير من أوقات الراحة أيضًا. في ذلك الصباح، ذكّرت بيث ميج وجو بأن تذهبا إلى منزل أسرة هامل، فقد أوصتهن أمهن بالاعتناء بتلك العائلة التعيسة في غيابها. كانت ميج متعبة للغاية ولم تستطع الذهاب، وكانت جو قد عادت إلى المنزل قادمة من منزل العمة مارش وتشعر أنها أصيبت بالبرد.

قالت جو: «لماذا لا تذهبين أنت يا بيث؟ ستستمتعين بالسير إلى هناك.»

أجابتها بيث: «أشعر بألم في رأسي وأني متعبة للغاية. ظننت أن واحدة منكما ستذهب إلى هناك اليوم.»

اقترحت ميج أن ينتظرن إيمي، لكن إيمي لم تعد إلى المنزل. سرعان ما نسيت ميج وجو أمر عائلة هامل، لذا خرجت بيث في هدوء في الجو البارد، ولم يلحظها أحد عندما عادت إلى المنزل أيضًا، لأنها اتجهت إلى الطابق العلوي، ودخلت غرفة أمها، وأغلقت الباب على نفسها.

دخلت جو الغرفة فوجدت أختها الصغيرة في حالة يرثى لها وعيناها حمراوان. صاحت: «النجدة! ما الأمر؟»

قبل أن تقترب جو منها، مدت بيث يدها، وسألتها: «لقد أصبتِ بالحُمَّى القرمزية من قبل، أليس كذلك؟»

أجابتها جو: «أجل، عندما أصيبت بها ميج، كنا أطفالًا وقتها، لماذا؟»

أخبرت بيث جو وهي تنتحب أن أحد أطفال أسرة هامل مات في حِجرها، وأخبرها الطبيب أنه مات بسبب إصابته بالحُمَّى القرمزية، وأخبر بيث بأن تتوجه إلى المنزل على الفور وتتناول الدواء لأنه من الممكن أن تمرض أيضًا.

عانقت جو أختها، وقالت: «كلا، لن تمرضي، إذا مرضت، فلن أسامح نفسي أبدًا.» تحسست جبهة بيث، وقالت: «يا بيث! كم أخشى أن تمرضي، لقد ذهبتِ إلى هناك كل يوم طيلة هذا الأسبوع.» صمتت جو دقيقة، وضمت يدي بيث بين يديها وقالت: «يجب علينا استدعاء هانا، ستعلم ما الذي يجب فعله.»

طلبت هانا من جو أن تحضر الطبيب على الفور. حضر الدكتور بانجز، وقال إن بيث تعاني أعراض الحُمَّى بلا ريب، على الرغم من أن حالتها ليست خطيرة. قررت الفتيات أن تنتقل إيمي، التي لم تصب بالحُمَّى من قبل، للعيش مع العمة مارش. لكنها رفضت الذهاب إلى أن وعدها لوري بأن يزورها يوميًّا، فوافقت. ومكثت جو بالمنزل لتعتني ببيث، لأن إيمي سترعى عمتهن الآن.

كادت إيمي تجهش بالبكاء عندما دخلت حجرة المعيشة بمنزل العمة مارش، فجذب لوري الببغاء بولي من ذيله، فضحكت إيمي. وما إن أصبحت وحدها، حتى فكرت في نفسها: «لا أظن أنني سأحتمل الأمر، لكنني سأحاول.»

الفصل الخامس عشر

أيام عصيبة

أصيبت بيث المسكينة بالمرض بالفعل، واعتنت هانا والطبيب بها جيدًا. جلست ميج بالمنزل لتعتني بأمور المنزل. وجهت هانا تعليمات صارمة للفتاتين بألا تخبرا أمهما بأي شيء. فقد تعرَّض والدهن لانتكاسة، ولم ترد هانا أن يعلم شيئًا آخر يؤثر على شفائه. كانت متيقنة أن بيث ستتعافى عما قريب.

مرت تلك الأيام العصيبة على جو وميج وشعور الحزن يملأ قلبيهما، تخشيان التفكير في العيش دون شقيقتهما الحبيبة. كانت بيث برقتها وطبيعتها المعطاءة تأسر قلوب الناس من حولها.

تعافت بيث فترة قصيرة تمكنت خلالها من إرسال رسائل حنونة إلى إيمي. لكن سرعان ما انقضت تلك الفترة القصيرة، ودخلت في فترات طويلة من التدهور. كانت تهذي بكلام غير مفهوم أو تستغرق في سبات عميق. بدأ الطبيب يحضر مرتين لزيارتها، وسهرت هانا بجوارها معظم الليالي. ولم تتركها جو لحظة واحدة، وكتبت ميج برقية تحسبًا للظروف.

هلَّ شهر ديسمبر/كانون الأول حاملًا البؤس والرهبة. عندما حضر الطبيب في صباح ذلك اليوم، أخبر هانا بأن تبعث رسالة تطلب فيها من السيدة مارمي الحضور.

هرعت جو إلى مكتب البريد عندما عادت إلى المنزل، وحضر لوري ومعه رسالة من السيد بروك يقول فيها إن أبيهن يتعافى مجددًا. لاحظ لوري على الفور وجه جو المكفهر الحزين، فسألها: «ماذا بك؟ هل حالة بيث سيئة؟»

أومأت جو موافقة: «لقد أرسلت خطابًا لأمي أطلب حضورها.»

– «هل كانت هذه فكرتك؟»

– «كلا، كان ذلك بناء على طلب الطبيب.»

بدا لوري مرتاعًا: «إن حالتها ليست بذلك السوء، أليس كذلك؟»

قالت جو وهي تنتحب: «نعم، إنها لا تعرفنا، لم تعد تشبه حبيبتي بيث، ومع غياب أمي وأبي لم أعد أستطيع تحمل الأمر.» انهمرت الدموع فوق وجنتي جو.

أمسك لوري بيدها، وهمس في أذنيها: «أنا هنا إلى جوارك، ضميني إليك يا جو.»

– «شكرًا يا لوري، أنا أفضل حالًا الآن.»

قال بصوت خافت: «تمسكي بالأمل فيما هو أفضل، ستحضر أمك عما قريب.»

انهمرت الدموع على وجنتيها من جديد: «آه يا لوري! إن بيث هي صوت الضمير ليّ ولا أستطيع التخلي عنها! لا أستطيع!»

كبت لوري دموعه، وقال: «لا أظن أنها ستموت، فهي طيبة للغاية، وكلُّنا نحبها كثيرًا.»

أنّت جو، وقالت: «دائمًا يموت الطيبون والمقربون!» لكنها توقفت عن البكاء.

قال لوري: «انتظريني هنا، سأجعلك تشعرين بتحسن في دقيقة.» عندما عاد، كان يحمل معه كأسًا بها خمر.

أمسكت جو بالكأس، ورفعتها، وقالت: «لنشرب نخب شفاء بيث العزيزة!» ارتشفت من الكأس ببطء، وقالت: «أنت طبيب ماهر يا لوري، وصديق طيب أيضًا. كيف لي أن أرد لك الجميل؟»

– «ليس ذلك بالأمر الضروري، هذا إلى جانب أنني أحمل مفاجأة إليك.»

– «ماذا؟»

ابتسم لوري: «لقد بعثت ببرقية إلى أمك بالأمس، ورد بروك ببرقية يقول فيها إنها ستحضر إلى المنزل على الفور. ستكون هنا الليلة!»

قفزت جو من مقعدها، وعانقت لوري. «آه يا لوري! أنا في غاية السعادة.» ضحكت، ورقصت، وضمت إليها الفتى المرتبك. ربَّت لوري على ظهرها، ثم قبَّلها قبلةً خجولةً أعادتها إلى الواقع مرة أخرى.

قالت: «أنا آسفة، لم أستطع منع نفسي من معانقتك، لا تعطني المزيد من الخمر! فهو يجعلني أتصرف على نحو طائش.»

ضبط لوري ربطة عنقه: «لا تقلقي، ليس لدي أي مانع. سأذهب لإحضار أمك. قطارها سيصل الساعة الثانية صباحًا.»

ابتسمت جو: «حقًّا، كيف يمكن أن أعبر عن امتناني لك يا لوري؟»

مازحها قائلًا: «يمكنك معانقتي مرة أخرى، فأنا أحب ذلك.»

– «كلا، شكرًا لك، عد إلى المنزل واسترح. ستكون ليلة شاقة، باركك الله يا لوري! باركك الله!»

بدا أن موجة من الفرح غمرت أرجاء المنزل لحظة. كان الجميع سعداء بحضور مارمي أخيرًا، باستثناء بيث التي كانت ترقد في فراشها في غيبوبة. ظلت ميج وجو بجوارها، لأنه لم يكن من المتوقع أن يحضر الطبيب قبل منتصف الليل إذا طرأ أي جديد.

انتظر الجميع، ولم ينم أحد. كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا عندما دخلت ميج حجرة المعيشة بوجه شاحب. دار في خلد جو الفكرة المروعة: «ماتت بيث، وميج خائفة أن تخبرني بذلك.» اندفعت جو إلى الطابق العلوي بجوار فراش بيث. كانت حمرة الحُمَّى ونظرة الألم قد اختفت من وجه بيث الطفولي، بدت نائمة في سكينة تامة، انحنت جو فوق أختها الغالية وقالت: «وداعًا يا حبيبتي، وداعًا.»

استيقظت هانا من غفوتها على كلام جو الممتزج بالدموع، وهرعت إلى فراش بيث وتحسست جبهتها، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة، وقالت: «لقد انقشعت الحُمَّى! إنها تنام نومًا طبيعيًّا. حمدًا لله!»

سرعان ما أحضرت الفتاتان دكتور بانجز الذي أكد ما قالته هانا. لقد تجاوزت بيث الوعكة الصحية! تعانقت ميج وجو، وقبَّلت إحداهما الأخرى. شعرت الفتاتان بسعادة لا مثيل لها لشفاء شقيقتهما ولسماعهما صوت الأجراس الرنانة المعلنة وصول العربة التي تقل أمهما.

الفصل السادس عشر

خطاب سري

لم تبرح مارمي فراش بيث بعد عودتها ذلك الصباح. استطاعت ميج وجو أن تنعما بنوم هانئ بعد أن عادت أمهما إلى المنزل. كان اليوم التالي مشرقًا ويبعث على البهجة.

ذهب لوري لزيارة إيمي عند العمة مارش، كانت إيمي طيلة تلك الفترة تدعو بشفاء أختها. ساورتها الكثير من المخاوف، وعلى الرغم من ذلك حاولت مواجهة الموقف بشجاعة. كانت العمة مارش تحاول إلهاءها طوال الوقت، لكنها كانت تشعر بالحنين إلى المنزل، واشتاقت إلى العودة إلى دفء العائلة.

ابتسم لوري وهو يزف إليها الأنباء السارة. حاولت جاهدة إخفاء اشتياقها إلى العودة إلى المنزل ورؤية أمها. لكن بيث كانت لا تزال مريضةً، لذا لم يكن أمامها خيار سوى أن تجلس لكتابة رسالة إليهن.

في اللحظة التي كانت إيمي ستخط فيها الرسالة، فوجئت بحضور أمها إلى منزل العمة مارش ففرحت فرحًا شديدًا. جلست إيمي على ساق مارمي، وأخذت تحكي لها عن الصعوبات التي مرت بها، فقبَّلتها أمها. في ذلك اليوم قدَّمت العمة مارش خاتمًا فيروزي اللون لإيمي. سألت إيمي أمها هل باستطاعتها الاحتفاظ به.

أجابتها مارمي: «أعتقد أنك ما زلت صغيرة للغاية على ارتدائه.»

– «لكنني أود ارتداءه ليذكِّرني بأمر ما.»

– «ليذكرك بالعمة مارش؟»

هزت إيمي رأسها نافيةً: «كلا، ليذكِّرني بألا أكون أنانية.» واسترسلت لتوضيح قصدها: «إن أسوأ عيوبي الأنانية. بيث ليست أنانية ولذلك يحبها الجميع. أريد أن أكون فتاة أفضل، لكنني كثيرًا ما أنسى ذلك، غير أني أستطيع تحقيق ذلك إذا احتفظت بشيء يذكِّرني به.»

قالت مارمي: «حسنًا، افعلي ما بوسعك يا عزيزتي. وارتدي خاتمك، والآن علي أن أعود إلى بيث، وستعودين إلى المنزل قريبًا.»

في وقت لاحق مساء ذلك اليوم، تسللت جو إلى الطابق العلوي للتحدث مع أمها. فقد أصبح عبء السر الذي أخبرها به لوري ثقيلًا للغاية. أخبرت أمها بأمر فردة قفاز ميج. وبعد أن انتهت من إخبارها، سألتها أمها: «هل تعتقدين أن ميج تهتم بالسيد بروك؟»

أجابتها جو: «النجدة! لا أدري شيئًا عن الحب. وميج لا تتصرف كبطلات قصصي. فهي لا تصاب بإغماءات، وتتصرف بحكمة.»

– «إذن، أتعتقدين أنها ليست مهتمة بجون؟»

صاحت جو: «من؟»

– «أعني السيد بروك، فأنا أدعوه الآن جون، لأنه كان ودودًا للغاية معنا في المستشفى.»

تأوهت جو: «يا إلهي! أستزوجين ميج له لأنه كان ودودًا مع أبي.»

شرحت لها مارمي في هدوء أن جون بروك شاب جدير بالاحترام. وقد تحدث بالفعل مع السيد مارش فيما يتعلق بمشاعره تجاه ميج. وطلب إذن السيد مارش في أن يعمل بكد من أجلها، فهو يريد أن يصير شخصًا ناجحًا. على الرغم من أن السيد بروك كان رجلًا رائعًا، لم يرغب الأبوان في أن تُخطب ميج وهي لا تزال في السابعة عشرة من عمرها.

تذمَّرت جو: «ليتني أستطيع أن أتزوجها كي تبقى معنا في العائلة.»

ابتسمت مارمي، ثم طلبت من جو ألا تذكر شيئًا لميج، فهي تريد أولًا معرفة شعور ميج تجاه السيد بروك.

صاحت جو: «رحماك ربي! سينفطر قلبي إذا عاد السيد بروك ثريًّا ووقعت ميج في حبه.»

قالت مارمي: «عزيزتي جو، أود أن تتزوج بناتي وينتقلن إلى بيوتهن في الوقت المناسب. لكن ميج لا تزال صغيرة للغاية، ولا يزال هناك الكثير من الوقت أمام جون كي يوفر لها منزلًا.»

– «أليس من الأفضل لميج أن تتزوج رجلًا ثريًّا؟»

– «المال ضروري في الحياة، لكن الحب والفضيلة مهمَّان أيضًا. فالثراء والحب أفضل كثيرًا من الثراء دون الحب.»

حثَّت مارمي جو على أن تترك الأمور للزمن، والوقت كفيل بأن يحسم مسائل الحب والزواج تلك. استمعت جو جيدًا لكلام أمها، لكنها شعرت بحزن كبير عندما فكرت في فراق أختها.

أصبح السر حملًا ثقيلًا للغاية على قلب جو في اليوم التالي. لاحظت ميج ذلك التغير على أختها، ولكنها لم تقل شيئًا. فقد تعلمت من واقع خبرتها الطويلة مع جو أن أفضل الطرق لإرغام جو على الكلام ليس في طرح الأسئلة. ظلت جو هادئة، وتتصرف ببرود. أزعج ذلك الأمر ميج؛ الأمر الذي حمل جو على التمادي في إساءة التصرف.

هدأت مارمي ميج، وسرعان ما تجاهلت ميج جو المسكينة. أصبح لوري ملاذ جو الوحيد. كانت هناك مشكلة واحدة، علم لوري أنها تخفي عنه شيئًا وحاول جاهدًا معرفة ذلك السر الذي تخفيه. لم تخبره جو قط، لكنه خمَّن أن الأمر يتعلق بميج والسيد بروك، وفي النهاية قرر أن ينصب مكيدته.

على مدى بضعة أيام، كانت ميج في مزاج سيئ، وافترضت جو أسوأ السيناريوهات، وهو أن ميج قد وقعت في حب السيد بروك.

تأوهت جو أمام أمها: «ماذا سنفعل؟»

قالت مارمي: «لا شيء، سننتظر حتى يعود أبوك. وهو سيقرر كل شيء.»

وفي اليوم التالي وزعت جو الخطابات التي أحضرتها من مكتب البريد. كان بينها خطاب مغلق لميج التي أطلقت صرخة عندما فتحته.

سألتها مارمي: «ما الأمر؟»

صاحت ميج: «الأمر كله خطأ! إنه لم يرسله! جو، كيف يمكنك أن تفعلي ذلك الشيء؟»

قالت جو: «أنا لم أفعل شيئًا! عم تتحدث يا مارمي؟»

كانت عينا ميج يتطاير منهما الشرر وهي تخرج رسالة مجعدة من جيبها. ثم ألقتها في وجه جو وقالت: «لقد كتبت أنت ولوري تلك الرسالة. كيف يمكن أن تقدما على ذلك الفعل اللئيم؟»

كانت الرسالة خطاب حب من المفترض أن السيد بروك هو من أرسله.

صاحت جو: «يا إلهي! ذلك الوغد الصغير، إنه يَحْبِك خدعه لأنني لم أخبره بالسر.»

سألتها مارمي، التي كانت تعلم أن جو تحب المزاح، في حزم: «هل لك علاقة بذلك الأمر؟»

– «مطلقًا! أقسم على ذلك!»

استدارت مارمي إلى ميج، وقالت: «هل بعثت ردًّا على ذلك الخطاب؟»

احمرَّت وجنتا الفتاة الكبرى في خجل شديد، وقالت: «أجل!»

اعترفت ميج بالأمر كله، أعطى لوري خطابًا لميج، وردت عليه بخطاب مماثل للسيد بروك تخبره فيه بأنها صغيرة للغاية على الزواج. ثم استلمت خطابًا من السيد بروك يقول فيه إنه لم يبعث بالخطاب الأول، وأن جو تمزح معها. فشعرت ميج بالخزي الشديد.

تفحصت جو الخطابين بعناية، ثم صاحت: «إليكما الخدعة، لقد كتب لوري الخطابين، يا له من وغد!»

أرسلت مارمي جو لطلب لوري، كانت عازمة على وضع حد لمثل تلك التصرفات السخيفة. عندما ذهبت جو، أخبرت مارمي ميج بمشاعر السيد بروك تجاهها، ثم سألتها برفق: «ماذا عن مشاعرك تجاهه؟»

أجابتها ميج إنها لا تعرف حقًّا، فالموقف برمته ومسألة الخطابات تلك جعلاها تشعر بالذعر الشديد إلى حد يجعلها لا ترغب في أن تقع في حب أحد. ثم استجدت مارمي ألا تخبر السيد بروك بشيء، فهي تشعر بجرح غائر في كرامتها.

بعد أن أمضى لوري ومارمي وقتًا طويلًا في حجرة المكتب، استدعت مارمي جو وميج إلى الغرفة. بدا لوري خجلًا للغاية، فسامحته جو على الفور. اعتذر لوري كثيرًا، وأقسم على ألا يقدم على فعل شيء مماثل مرة أخرى.

سامح الجميع لوري، وسرعان ما نسين مزحته، باستثناء ميج الجميلة. كثيرًا ما كانت تساورها أفكار بشأن السيد بروك. وذات مرة عثرت جو على قصاصة ورقية كتبت عليها ميج: «السيد جون بروك.» أنّت جو في يأس وألقت بالورقة في نيران المدفأة. فمزحة لوري ربما تكون قد عجَّلت باليوم الذي ستغادر فيه ميج.

الفصل السابع عشر

توقعات سارَّة

مرت الأسابيع التي سبقت عيد الميلاد في سكينة. أرسل السيد مارش خطابًا يقول فيه إنه سيحضر في وقت مبكر من العام الجديد. كانت صحة بيث تتحسن يومًا بعد يوم، وعادت إيمي إلى المنزل، وانشغل كل من بالمنزل بالاستعداد لقضاء إجازة سعيدة.

حلَّ العيد وساد شعور طيب. أصبحت بيث قادرة على الوقوف بجانب النافذة، وأبدت إعجابها بالدمية الجليدية التي صنعتها جو ولوري من أجلها. وُزِّعت الهدايا، وبعثت البهجة في النفوس.

قالت بيث: «أنا سعيدة للغاية، ليت أبي كان بيننا.» اتفقت الفتيات معها في الرأي تمامًا.

أطل لوري اللعوب من باب حجرة المعيشة، وصاح: «هناك هدية أخرى لعائلة مارش!»

وفجأة ظهر أبوهن الحبيب. وعلى الفور التفت أذرع الفتيات المحبات حول أبيهن. تبادلوا الأحضان والقبلات والضحكات والقليل من دموع الفرح أيضًا.

كان عشاء عيد الميلاد مميزًا للغاية ذلك اليوم؛ طهت هانا ديكًا روميًّا كبيرًا وطري اللحم، وزينت مائدة الطعام بكافة أشكال الزينة. انضم السيد لورانس ولوري والسيد بروك إلى عائلة مارش على مائدة الطعام.

أشارت جو: «في نفس ذلك اليوم من العام السابق تذمرنا جميعًا من عيد الميلاد التعيس الذي أمضيناه.»

سألتها ميج وذهنها شارد في عيني السيد بروك الجميلتين: «على كل، لقد انتهى العام نهاية سعيدة، أليس كذلك؟»

ثم قالت إيمي: «لقد كان عامًا صعبًا للغاية أيضًا.»

علَّقت بيث وهي تنظر إلى أبيها: «أنا سعيدة للغاية لأنه انقضى، ولأنك بيننا الآن.»

ابتسم السيد مارش لبناته الجميلات، وهنأهن على سعيهن الجدي للتغلب على مساوئهن، ولأنهن كن طيبات ومراعيات لمشاعر الآخرين. والأهم من ذلك، أطرى عليهن للحب الذي تحمله كل منهن للأخرى، ولأنهن أصبحن «نساءه الصغيرات» حقًّا.

قبل أن تعزف بيث على البيانو، تذكرت أنها قرأت عن مرج أخضر جميل تتفتح فيه أزهار السوسن كل عام. سادت تلك الأجواء المرحة مع غناء الأناشيد والترانيم. كان الجو مفعمًا بالأصوات السعيدة والأمنيات الصادقة بقضاء عيد سعيد للجميع.

وفي اليوم التالي، أُهملت الأعمال المنزلية العادية، وذلك لاعتناء الأم وبناتها بالسيد مارش.

تذمَّرت جو عندما رأت المظلة التي نسيها السيد بروك. كانت ميج المسكينة شاردة الذهن وخجلة وصامتة، يحمر وجهها متى ذكر اسم جون، وأصبح الأمر حملًا ثقيلًا على السيد مارش وزوجته.

تبادلت ميج وجو حديثًا من القلب معًا، بعد أن شاهدتا من النافذة لوري وهو يترنح محاولًا التظاهر بأنه حبيب مجروح.

تساءلت جو: «ماذا ستقولين إذا طلب السيد بروك الزواج منك؟»

– «حسنًا، سأكون هادئة، وسأقول: «شكرًا لك يا سيد بروك، أنت طيب للغاية، لكنني ما زلت صغيرة على الزواج.»»

– ضحكت جو: «لا أظن أنك ستقولين هذا.»

– «بلى، سأقوله، وسأخرج من الغرفة ورأسي مرفوع.»

نهضت ميج لتمثل أمام جو الطريقة التي ستخرج بها من الغرفة، وإذا بها تصطدم فعليًّا بالسيد بروك. خرجت جو من الغرفة لتفسح المجال لشقيقتها لتقول ما تريد.

قال السيد بروك في هدوء: «مساء الخير، حضرت لآخذ مظلتي وكي أطمئن على حال والدك اليوم.»

قالت ميج: «هو في أحسن حال، إنه بالفراش. سوف أُحضره وأخبرها أنك هنا.» في غمرة توترها، اختلط عليها الأمر بين المظلة وأبيها!

«هل أنت خائفة مني يا مارجريت؟» بدا السيد بروك معذبًا للغاية حتى إن وجه ميج احمر خجلًا.

قالت: «كيف أخاف منك؟ لقد كنت طيبًا للغاية مع والدي، ليتني أستطيع شكرك على ذلك.»

«هل لي أن أخبرك بطريقة تشكرينني بها؟» ثم أمسك يدها الصغيرة بإحكام.

حاولت ميج جاهدة أن تسحب يدها، وقالت: «أوه، أرجوك لا تفعل ذلك.»

– «لا أود سوى أن أعرف هل تحملين في قلبك القليل من الحب تجاهي، لأنني أحمل لك الكثير والكثير من الحب.»

حان وقت التصرف بهدوء والنطق بالكلمات المناسبة. لكن ميج نسيت كل كلمة! وبدلًا من ذلك تلعثمت في الكلام: «أنا صغيرة للغاية على الزواج.» انزعجت ميج من افتراضه أنها ستوافق على الزواج منه، فجذبت يدها بعيدًا وقالت: «من فضلك ارحل الآن!»

عكس وجه السيد بروك المسكين ما كان بداخله من قلب جريح. «أهذا حقًّا ما تريدينه؟»

– «أجل، يرى أبي أنه لا ينبغي لي التفكير في تلك الأمور الآن، وأنا لا أنوي ذلك.»

– «هل من الممكن أن تغيري رأيك؟ سأنتظر إذا كنت في حاجة إلى مزيد من الوقت.»

لمعت عينا ميج، وتغيرت نبرة صوتها: «ليتك لم تفكر بي من الأساس!»

شحب وجه السيد بروك، وشعرت ميج بقلبها يرق، لكن العمة مارش وصلت إلى المنزل في تلك اللحظة. رأت ميج وبروك وسألت في غضب: «ماذا يحدث هنا؟»

غادر السيد بروك، وجلس في غرفة أخرى، وأجابتها ميج: «لا شيء، إنه صديق أبي حضر ليطمئن على حاله.» ثم حاولت استعادة رباطة جأشها، وقالت: «لقد فوجئت بحضورك يا عمتي.»

– «وجهك أحمر كالبنجر. أصرُّ على معرفة ماذا يحدث هنا.»

– «كنت أنا والسيد بروك نتحدث ليس إلا.»

قالت العمة مارش في نبرة استهزاء: «هذا إذن السيد بروك المعلم الخاص. لم توافقي على الزواج منه، أليس كذلك؟»

شعرت ميج بالغضب حينئذ: «صمتًا رجاءً، سيسمعك، سأخبر أمي بأنك حضرت.»

أصرت العمة مارش، وقالت: «انتظري دقيقة يا ابنتي، أريد أن أخبرك بشيء.» وقالت لها إنه واجب عليها أن تتزوج من رجل ثري وتنقذ عائلتها، ولا ينبغي لها أن تتزوج من رجل فقير بلا طموح.

شعرت ميج بالغضب من حديث عمتها الذي يحمل تقليلًا من شأن «حبيبها» جون، وامتدحت جون ووصفته بأنه رجل طيب وسخي، وقالت: «سأتزوج بمن أريد. جون ليس ثريًّا، لكنني أعلم أنني سأكون سعيدة معه لأنه يحبني!»

بعد أن وبَّختها العمة مارش، خرجت وصفعت الباب في وجه ميج، لم تدر ميج هل ينبغي أن تبكي أم تضحك. جاء جون إلى الرواق، بعد أن سمع الحديث الذي دار بين ميج وعمتها. قال بصوت خافت: «سنعيش في سعادة معًا يا ميج، أليس كذلك؟»

نظرت ميج إلى وجهه الوسيم الحنون، وقالت: «أجل يا جون.»

أمضى جون بقية الظهيرة في إقناع السيد مارش وزوجته بنواياه الحسنة. وسرعان ما وافقت العائلة بأكملها على الخطبة. حتى جو عدلت عن رأيها بعد أن رأت سعادة أختها بجون.

اجتمعت العائلة لتناول عشاء جميل للاحتفال بالخطبة. حضر لوري ومعه باقة جميلة من الورود، وأحضر السيد لورانس زجاجة خمر. وعند غروب الشمس جلسوا في حجرة المعيشة في سعادة، وتحمَّس الزوجان الشابان لخططهما المستقبلية. كانت السعادة التي شعر بها الجميع لا تضاهيها سعادة. جلست العائلة التي لُمَّ شملها في رضا حول المدفأة مع أصدقائهم الطيبين يحملون في قلوبهم آمالًا سارة للمستقبل.